

الْإِيمَانُ نَالُ الْيَوْمِ وَالْآخِرِ

وَالْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ

بِقَتْلِهِ

فَضِيلَةُ الْأُسْتَاذِ

أَحْمَدَ عَزَّ الدِّينَ الْبَيَّاتُونِي

رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

بَارِئُ السَّيِّئَاتِ

لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ وَالتَّرْجُمَةِ

الطبعة الثانية

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

كافة حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة
للمنشر

دار السالار للطباعة والنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أقسام العقائد الإسلامية

العقائد الإسلامية تنقسم إلى أربعة أقسام رئيسية ، تحت كل قسم منها فرع كثيرة :

١ - القسم الأول : الإلهيات

وتبحث فيما يتعلق بالإله سبحانه وتعالى ، من حيث صفاته ، وأسمائه ، وأفعاله .

ويلحق بها ما يستلزمه اعتقادها من العبد لمولاه تبارك وتعالى .

٢ - القسم الثاني : النبوات

وتبحث فيما يتعلق بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، من حيث صفاتهم ، وعصمتهم ، ومهمتهم ، والحاجة إلى رسالتهم .

ويلحق بهذا القسم ما يتعلق بالأولياء رضي الله عنهم ، والمعجزة والكرامة والكتب السماوية .

٣ - القسم الثالث : الروحانيات

وتبحث فيما يتعلق بالعالم غير المادي ، كالملائكة عليهم الصلاة والسلام ، والجن ، والروح ..

٤ - القسم الرابع : السمعيات

وتبحث فيما يتعلق بالحياة البرزخية ، والحياة الأخروية : كأحوال القبر ، وعلامات الساعة ، والبعث ، والجزاء ، والقضاء والقدر .



السَّمْعِيَّات

الإيمان باليوم الآخر

قال الله تعالى :

﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الآخر فقد ضلّ ضلّالاً بعيداً ﴾ ^(١) .

(١) ١٣٦ - النساء .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد :

يمر الإنسان في أربعة أطوار من الحياة :

١ - الطور الأول : حياته وهو جنين :

فالجنين في بطن أمه كائن حي ، يحس ويتحرك ، ويتألم ، وينمو ، ويمرض ويصح ... إلى أن يقضي فيه الزمن المعين الذي قدر له .

ثم ينقل إلى هذه الحياة طفلاً ضعيفاً كما نراه .

قال الله تعالى : ﴿ وَنَقَرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ، ثُمَّ نَخْرِجُكُمْ طِفْلاً ... ﴾ (١) .

٢ - والطور الثاني : حياته في الدنيا :

ثم ينتقل من ضيق الرحم ، إلى هذه الحياة الفسيحة ، فيحيا فيها حياة لا شبه بينها وبين حياته وهو في الطور

الأول في بطن أمه . فقد أصبح يتغذى من فيه ، ويبصر بعينه ، ويسمع بأذنيه ، ويبطش بيديه ، ويمشي على رجليه ...

حتى إذا بلغ أشده واستوى ، منحه الله عقلاً ، وآتاه علماً ، وبقي في هذه الدنيا إلى أجله المحتوم ... ثم يموت .
وهذان الطوران نراهما بأعيننا ، وندرك الفرق الشاسع بينهما .

٣ - والطور الثالث : حياته وهو في البرزخ :

فإذا مات انتقل من هذه الحياة ، إلى حياة برزخية ، تنفصل فيها الروح عن الجسد ، ويتنعم فيها أو يعذب .

قال الله تعالى : ﴿ وحاق بآل فرعون سوء العذاب :

النار يُعرضون عليها غدواً وعشياً ، ويوم تقوم الساعة

أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ ^(١) .

ومر النبي ﷺ بقبرين ، فقال :

« إنها يعذبَان ، وما يعذبَان في كبير : أما أحدهما فكان
يشي بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله » (١) .

والبرزخ : هو أول عالم من عوالم الآخرة .

وشأن البرزخ أننا نطلع فيه على أحكام طرفيه . ولهذا
ورد أن أهل البرزخ ، يُشرفون على أحوال أهل الدنيا
والآخرة .

وقد أمرنا أن نسلم على الأموات ، وتقوم على قبورهم ،
وهم يسمعون ، ويشعرون كأهل الدنيا بل أقوى .

ففي الحديث الشريف : أتاني جبريل فقال :

« إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع ، فتستغفر لهم .

فقالت عائشة رضي الله عنها : كيف أقول لهم يارسول

الله ؟

قال : قولي : السلام على أهل الديار من المؤمنين

(١) البخاري ومسلم .

والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين - أي: في الموت - وإنا إن شاء الله بكم للاحقون « (١) .

فالبرزخ إذن يكون فيه الطور الثالث من أطوار الحياة .

وما أشبه ساعة النزع بساعة الولادة ، التي ينتقل فيها الجنين من حياة ضيقة في طراز ضيق ، إلى حياة فسيحة ، ذات نطاق أوسع وأكمل .

٤ - والطور الرابع : حياته في الآخرة :

ثم تقوم الساعة ، ويُبْعَثُ الناس ، وَيُحْشَرُونَ ، ويحاسبون على أعمالهم .

﴿ ... فمنهم شقي وسعيد . فأما الذين شَقُّوا ففي النار ، لهم فيها زفير وشهيق ، خالدين فيها ما دامت السموات والأرض ، إلا ما شاء ربك ، إن ربك فعال لما يريد .

وأما الذين سَعَدُوا ، ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض ، إلا ما شاء ربك ، عطاء غير

مجدوذ ﴿^(١)﴾ . - أي: غير مقطوع -

والله تعالى حين أخبرنا بما يستقبلنا من الطورين
الأخيرين ، ومهد للإيمان بهما ، بالطورين الأولين ، اللذين
نراها بأعيننا ؛ وهما :

حياتنا ونحن أجنة في بطون أمهاتنا ، وحياتنا هذه في
الدنيا .

فالخالق العظيم القادر الذي جعل هذا التفاوت العجيب
بين هذين الطورين من أطوار الحياة ، قادر أن يجعل التباين
أكبر ، والتفاوت أعظم ، بين حياتنا هذه ، وحياتنا في
البرزخ ، ثم بينها وبين حياتنا في الآخرة ، دار النعيم المقيم ، أو
العذاب الأليم .

فلا ينبغي أن يعظم علينا حين يخبرنا النبي ﷺ :

« أن أهل الجنة يتنعمون فيها ، ويأكلون ويشربون ، ولا
يتغفطون ولا يبولون ، ولا يمتخطون ، وأنهم مخلدون في هذا

النعم ، لا يبلى شبابهم ، ولا تفتنى ثيابهم ...

وأن أهل النار يعذبون فيها ، كلما نضجت جلودهم ،
بدلهم القوي القدير جلوداً غيرها ، ليزوقوا العذاب ، خالدين
فيه ...

إلى غير ذلك مما سيأتي مفصلاً إن شاء الله تعالى .



متى الساعة ؟

قال الله تعالى : ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها ؟ ﴾ (١) .

قل : إنما علمها عند ربي ، لا يجليها لوقتها إلا هو . (٢)
ثقلت في السموات والأرض (٣) لا تأتيكم إلا بغتة (٤) ﴿ (٥) .

وفي الحديث الشريف : « لتقومن الساعة وقد نشر
الرجلان ثوبها بينهما ، فلا يتبايعانه ولا يطويانه .

ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته - أي :
ناقته القريبة العهد بالنتاج - فلا يطعمه - أي : فلا يذوقه -

ولتقومن الساعة ، وهو يليط حوضه - أي : يطينه
ويصلحه - فلا يسقي فيه .

(١) أي متى ظهورها وقيامها

(٢) أي لا يظهرها لوقتها المعين ، إلا الله عز وجل .

(٣) أي ثقل أمرها ، وخفي علمها .

(٤) أي فجأة على حين غفلة من الخلق .

(٥) ١٨٧ - الأعراف .

ولتقومن الساعة ، وقد رفع أكلته - أي: لقمته - إلى فيه ،
فلا يطعمها « (١) .

من علامات الساعة

إن للساعة علامات ، منها ما يلي :

١ - بعثة نبينا محمد ﷺ :

ففي الحديث الشريف : « بُعثُ أنا والساعة هكذا
- ويشير بأصبعيه فيدهما -

وفي رواية : بعثت أنا والساعة كهاتين ، وضم
السبابة والوسطى « (٢) .

٢ - خروج النار :

ففي الحديث الشريف : « لاتقوم الساعة ، حتى تخرج نار
من أرض الحجاز ، تضيء أعناق الإبل ببصرى » (٣) .

بلد على ثلاث مراحل من دمشق .

(١) و ٢ و ٣ البخاري ومسلم .

٣ - وفاته ﷺ ، وفتح بيت المقدس :

عن عوف بن مالك رضي الله عنه أنه قال :

أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك في قبة من آدم - أي: من جلد -

فقال : « أعددتاً بين يدي الساعة :

موتي ، ثم فتح بيت المقدس ، ثم موتان يأخذ فيكم كقُعْاص الغنم - وهو دود صغير يظهر في رؤوس الغنم فيهلكها - ثم استفاضة المال - أي: كثرته - حتى يعطى الرجل مئة دينار ، فيظل ساخطاً ، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر - وهم الروم - فيغدرون ، فيأتونكم تحت ثمانين غاية - أي: راية - تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً » (١) .

٤ - الدخان والدجال :

عن حذيفة الغفاري رضي الله عنه أنه قال :

اطلع علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر .

فقال : « ما تذكرون ؟ »

قالوا : نذكر الساعة .

قال : « إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات :

فذكر الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى بن مريم ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن ، تطرد الناس إلى المحشر » ^(١) .

٥ - قتال المسلمين اليهود :

ففي الحديث الشريف : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل

(١) مسلم .

المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر :

(يامسلم ، يا عبد الله ، هذا يهودي خلفي ، فتعال فاقتله) إلا الفرقد ، فإنه من شجر اليهود « (١) .

٦ - غربة الإسلام :

ففي الحديث الشريف : بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء .

قيل : من هم يارسول الله ؟

قال : الذين يصلحون إذا فسد الناس .

وفي رواية : اللذين يفرّون بدينهم من الفتن .

وفي رواية أخرى : الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي .

وفي رواية خامسة : قال : قوم قليل في ناس سوء كثير ،

من يعصيه أكثر ممن يطيعهم» ^(١) .

٧ - ظهور المهدي :

اشتهر بين العلماء سلفاً وخلفاً أنه في آخر الزمان لا بد من ظهور رجل من أهل البيت يسمى : المهدي ، يستولي على الممالك الإسلامية ، ويتبعه المسلمون ، ويعدل بينهم ويؤيد الدين ، وبعده يظهر الدجال ، وينزل عيسى عليه الصلاة والسلام فيقتله .

وقد روى أحاديث المهدي جماعة من خيار الصحابة وخرّجها أكبر المحدثين : كآبي داود والترمذي وابن ماجه والطبراني وأبي يعلى والبزار والإمام أحمد والحاكم رضي الله عنهم أجمعين .

ولقد أخطأ من ضعف أحاديث المهدي كلها .

أما ما روي من حديث : « لأمّ هديّ إلا عيسى ابن مريم » .

(١) مسلم .

ضعيف كما قال البيهقي والحاكم وغيرها .

٨ - نزول عيسى عليه الصلاة والسلام :

في الحديث الشريف : « والذي نفسي بيده ، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عليه السلام حكماً مقسطاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية - أي: يبطلها فلا يقبل إلا الإسلام - ويفيض المال - أي: يكثر - حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها .

ثم قال أبو هريرة رضي الله عنه - راوي الحديث - واقرءوا إن شئتم :

﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمننَّ به قبل موته ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً ﴾ ^(١) .

٩ - طلوع الشمس من مغربها :

في الحديث الشريف : « إن أول الآيات خروجا - أي : الآيات غير المألوفة - طلوع الشمس من مغربها وخروج

الشمس من مغربها

(١) ١٥٩ - النساء . والحديث رواه البخاري ومسلم .

الدابة على الناس ضحى ، وأتبعها ما كانت قبل صاحبتهما
فالأخرى على أثرها قريباً ، (١) .

١٠ - لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق :

في الحديث الشريف : « لا تقوم الساعة حتى لا يقال في
الأرض : الله ، الله » (٢) .

وفي رواية : « لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق » (٣) .

وفي حديث آخر : « لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد
الناس لكع بن لكع » (٤) .

والكع : اللثم ، والمراد هنا الكافر .

هذا ، وليس فيما ورد من علامات الساعة ، ما يفيد
ترتيبها في الوقوع ، إلا أن أولها مبعث رسول الله ﷺ ،
وأخوها خروج الدابة ، فموت المسلمين بهرجة تخرج من اليمن .

(١) و (٢) مسلم ،
(٣) البخاري ومسلم ،
(٤) الترمذي .

فضل العبادة في آخر الزمان

في الحديث الشريف : « العبادة في الهرج كهجرة إلي » ^(١) .

والهرج : كثرة الفتن والقتل .

وفي حديث آخر : يأتي على الناس زمان ، الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر ^(٢) .

حلول البلاء بكثرة العصيان

عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ قال :

« يكون في آخر هذه الأمة خسفٌ ومسحٌ وقذفٌ - أي رمي بالحجارة -

قلت : يارسول الله ، أنهلك وفينا الصالحون ؟!

قال : نعم ، إذا ظهر الخبث - يعني المعاصي - « ^(٣) .

(١) الترمذي .

(٢) مسلم .

وفي رواية : قال رجل من المسلمين : يا رسول الله ومتى ذاك ؟

قال : « إذا ظهرت القينات والمعازف ، وشربت الخمر » .
والقينات : المغنيات . والمعازف : آلات اللهو والطرب .

لاتزال طائفة على الحق

في الحديث الشريف : « لاتزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من يخذلهم ، حتى يأتي أمر الله » ^(١) .

الموت

قال الله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين .

ثم جعلناه نطفة في قرار مكين .

ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً ، فكسونا العظام لحماً ، ثم أنشأناه خلقاً آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

ثم إنكم بعد ذلك لميتون .

ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴿ ^(١) .

وقال عزوجل : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ ^(٢) .

والموت : هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ، ومفارقة وحيلولة بينهما ، وتبدل حال بحال ، وانتقال من دار إلى دار .

ولكل مخلوق أجل ، وأجل كل ذي روح بحسب علم الله واحد ، لا تمعد فيه ، والمقتول لم يمت إلا بحسب انقضاء أجله ، في الوقت الذي علم الله تعالى أولاً حصول موته فيه ، ولو لم يقتل لمات في ذلك الوقت .

قال الله تعالى : ﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ ^(٣) .

(١) ١٢ - ١٦ المؤمنون .

(٢) ١٨٥ - آل عمران .

(٣) ٣٤ - الأعراف .

ثناء الناس على الميت

عن أنس رضي الله عنه أنه قال :

مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَأَثْنُوا عَلَيْهَا خَيْرًا .

فقال النبي ﷺ : « وَجِبَتْ »

ثم مَرُّوا بِأُخْرَى ، فَأَثْنُوا عَلَيْهَا شَرًّا .

فقال النبي ﷺ : « وَجِبَتْ »

فقال عمر رضي الله عنه : ما وجبتُ ؟

فقال : هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة .

وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار .

أنتم شهداء الله في الأرض » (١) .

وفي حديث آخر : « أيُّا مسلم شهد له أربعة بخير ، أدخله

الله الجنة .

قالوا : وثلاثة ؟

قال : وثلاثة .

قالوا : واثنان ؟

(١) البخاري ومسلم .

قال : واثنان .

ثم لم يسأله عن الواحد « (١) » .

ذكر الموت

قال الله تعالى : ﴿ كل نفس ذائقة الموت .. ﴾ (٢) .

وقال عز وجل يخاطب نبيه ﷺ :

﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ (٣) .

وفي الحديث الشريف : « أكثروا من ذكر هادم اللذات » (٤) أي : قاطعها وهو الموت .

ودخل رسول الله ﷺ مصلاه ، فرأى ناساً كأنهم يكتشرون - أي : يضحكون وتظهر أسنانهم من الضحك -

فقال : « أما إنكم لو أكثرتم من ذكر هادم اللذات - يعني

(١) البخاري .

(٢) ١٨٥ - آل عمران .

(٣) ٣٠ - الزمر .

(٤) الترمذي وغيره .

الموت - لشغلكم عما أرى ، فأكثرُوا ذكر هاذم اللذات الموت ،
فإنه لم يأتِ على القبر يوم إلا تكلم فيه ، فيقول :

أنا بيت الغربه ، وأنا بيت الوحدة ، وأنا بيت التراب ،
وأنا بيت الدود .

فإن دُفن العبد المؤمن قال له القبر : مرحباً وأهلاً أما إن
كنتَ لأحبَّ من يمشي على ظهري إليَّ ، فإذا وَليتك اليوم ،
وصرتَ إليَّ فسترى صنيعي بك .

قال : فيتسع له مدٌّ بصره ، ويفتح له باب إلى الجنة .

وإذا دُفن العبد الفاجر قال له القبر :

لامرحباً ، ولا أهلاً ، أما إن كنتَ لأبغضَ من يمشي على
ظهري إليَّ ، فإذا وَليتك اليوم ، وصرتَ إلي ، فسترى صنيعي
بك .

قال : فيلتئم عليه حتى تلتقي عليه وتختلف أضلاعه .

قال رسول الله ﷺ بأصابعه - أي: أشار بها - فأدخل
بعضها في جوف بعض .

قال : وَيُقَيِّضُ لَهُ اللَّهُ سَبْعِينَ تَيْنًا - أي: ثعباناً - لو أن واحداً نفخ في الأرض ، ما أنبتت شيئاً ما بقيت الدنيا فينهشه ، ويخدشه ، حتى يُفْضِي به إلى الحساب .

ثم قال رسول الله ﷺ : إنما القبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار» ^(١) .

وفي الحديث الشريف : « الكَيِّس - يعني العاقل - من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأماني » ^(٢) .

وقال رجل من الأنصار : مَنْ أَكْبَسَ النَّاسَ وَأَكْرَمَ النَّاسَ يَارَسُولَ اللَّهِ ؟

فقال : « أَكْثَرَهُمْ ذِكْرًا لِلْمَوْتِ ، وَأَشَدَّهُمْ اسْتِعْدَادًا لَهُ ، أَوْلَهُكُمْ هُمُ الْأَكْيَاسُ ، ذَهَبُوا بِشَرَفِ الدُّنْيَا وَكَرَامَةِ الْآخِرَةِ » ^(٣) .

(١) الترمذي .

(٢) الترمذي وغيره .

(٣) ابن ماجه وابن أبي الدنيا .

أقسام الناس في ذكر الموت

الناس في الدنيا على ثلاثة أقسام :

- ١ - إما منهمك بالدنيا ، ولا تخطر له الآخرة على بال .
 - ٢ - وإما تائب مبتدئ ، يجاهد نفسه على التقوى والعمل للآخرة .
 - ٣ - وإما عارف كملت نفسه ، وتاقت إلى الآخرة .
- فأما المنهمك بالدنيا ، فلا يذكر الموت بحال ، وإن ذكره فإنه يذكره أسفاً على الدنيا ، حزيناً على فراقها .
- وهذا لا يزيده ذكر الموت من الله تعالى إلا بُعداً .
- وأما التائب المبتدئ ، فإنه يكثر من ذكر الموت لينبعث من قلبه الخوف والحشية ، فيفي بتمام التوبة .
- وربما يكره الموت خوفاً من أن يختطفه قبل تمام التوبة ، وقبل إصلاح الزاد إلى الآخرة .
- وهو معذور بكرهية الموت لهذا السبب .

وعلامته أن يكون دائم الاستعداد له ، لا يشغله عنه من الدنيا شاغل .

وأما العارف الكامل ، فإنه يذكر الموت دائماً ، لأنه موعد لقاء الله تبارك وتعالى ، وهو يحبه ، والمحـب ينتظر لقاء الحبيب .

وهذا على الغالب يستبطنه مجيء الموت ، ويحب مجيئه ليتخلص من سجن الدنيا ، وينتقل إلى جوار ربه الكريم .

لما حضرت حذيفة رضي الله عنه الوفاة قال :

حبيب جاء على فاقة ، لأفـلح من ندم ...

ولما حضرت بلالاً رضي الله عنه الوفاة ، سمع امرأة من أهله تقول : وامصيتاه .

فقال : بل واطرباه ، غداً ألقى الأحبة ، محمداً وصحبه .

ما الجدير بالعاقل ؟

مأجدر الإنسان العاقل ، الذي يطوي حياته صحيفة ،
ويقتلع عمره بيده من التقويم السنوي ورقة ورقة ، ويرى
بعينه مراحل العمر تمضي مرحلة مرحلة ، وينتقل من طفولة
إلى شباب ، ثم إلى كهولة فشيخوخة وهِرم ، هرم ليس بعده
إلا الموت ...

أقول : مأجدر هذا الإنسان إذا كان عاقلاً ، أن يفكر فيما
بعد الموت ، ويستعد بالإيمان والعمل الصالح ، لحياة الخلود في
النعم ، ويعمل للنجاة من الخلود في عذاب الجحيم !!

مقارنة

لو قارنا بين رجلين : أحدهما مؤمن بالله واليوم الآخر
مستعد له ، والآخر جاحد بالله ، كافر باليوم الآخر ، لرأينا
الفرق بينهما شاسعاً .

فالمؤمن بالله واليوم الآخر كلما ذكر الموت والآخرة ،
تحرك قلبه بالرجاء ، آملاً أن يكون في الآخرة من السعداء ،

ومن أهل النعيم الخالد فيها .

فهو سعيد في نفسه ، مطمئن في حياته ، مهما قاسى من الشدائد والصعاب ، والآلام والأسقام ، ومهما لاقى في شيخوخته وهرمه ، من ضعف ووهن ، فهو يودّع هذه الحياة راضياً ، هائياً النفس ، فرحاً بقاء الله ، منتظراً ثواب الله ...

فأيّ سعادة أعظم من هذه السعادة ؟!

وأما الملحد بالله ، الكافر باليوم الآخر ، فإنه يتقلب في شدائد الحياة وصعوباتها وآلامها وأسقامها ، كما يتقلب الحيوان الأعجم ، لا يعرف سبباً لوجوده ، ولا يرجو ثواباً لعمله ، ويدركه ضعف الشيخوخة ، ووهن الهرم ، فلا يجد لذة في مأكّل ولا مشرب ، ولا في متعة من متع الحياة ، ثم هو إذا عاين الموت ، فارق هذه الحياة كئيباً حزيناً ، لا يرى أنه صائر بعد موته إلا إلى جيفة كما يصير الحمار ...

فأيّ شقاء أشد من هذا الشقاء ؟!

ينتفع الميت بعمل غيره

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال :

يا رسول الله : إن أمي افتلنت نفسها - أي: ماتت فجأة - .
ولم توص ، وأظنها لو تكلمت تصدقت ، أفلها أجر إن
تصدقتُ عنها ؟

قال : « نعم » ^(١) .

وعن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال :

يا رسول الله إن أم سعد ماتت ، فأَيّ الصدقة أفضل ؟

قال : « الماء » .

قال : فحفر بئراً ، وقال : هذه لأم سعد ^(٢) - أي: صدقة

عنها - .

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال :

(١) البخاري ومسلم .

(٢) أبو داود وأحمد .

يارسول الله ، إن أمي ماتت وعليها صوم شهر ، أفأقضيه عنها ؟

فقال : « لو كان على أمك دين أكنت قاضيَه عنها ؟
قال : نعم .

قال : فدين الله أحق أن يُقضى » ^(١) .

وجاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت :

يارسول الله ، إن أمي ماتت وعليها صوم نذر ، أفأصوم عنها ؟

قال : « أرايتِ لو كان على أمك دين فقضيتيه ، أكان يؤدي ذلك عنها ؟

قالت : نعم .

قال : فصومي عن أمك » ^(٢) .

وفي حديث آخر : « من مات وعليه صيام ، صام عنه وليه » ^(٣) .

(١) و ٢ و ٣ البخاري ومسلم .

أي: يندب لقريبه أن يصوم عنه .

فهذا صريح في أن الميت المسلم ينتفع بعمل غيره ، كما
ينتفع بصلاة الجنازة عليه ، وذلك بإجماع العلماء من أهل
السنة رضي الله عنهم .

وفي انتفاعه بقراءة القرآن له خلاف .

بل والحي ينتفع بعمل غيره :

قال الله تعالى : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ ^(١) .

وقال عز وجل : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَسْبَحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ،
وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ ^(٢) .

وقال رجل : يا رسول الله ، إن أبي شيخ كبير ، ولا يثبت
على الراحلة ، أفأحج عنه

قال : « نعم » ^(٣) .

(١) ٨٢ - الكهف .

(٢) ٥ - الشورى .

(٣) النسائي وغيره .

وفي الحديث الشريف : « الدال على الخير كفاعله » ^(١) .

ومن هذا القبيل الشفاعة في القيامة ، ونحو ذلك كثير .

ولا يرد قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا

سَعَى ﴾ ^(٢) .

فإنها في الكافر ، أو في الأمم الماضية ، أو هو عام مخصوص

بغير ذلك .

نفهم مما تقدم أن الإنسان ينتفع بعمل غيره .

وللإنسان أن يجعل ثواب عمله لغيره ، صلاة كانت أو

صوماً أو حجاً أو صدقة أو قراءة قرآن ، أو غير ذلك من جميع

أنواع البر .

ويصل ذلك إلى الميت ، وينفعه عند أهل السنة ، والحمد

لله رب العالمين .

(١) أحمد وغيره .

(٢) ٣٩ - النجم .

النفخ في الصور

قال الله تعالى : ﴿ وَنُفِخ فِي الصُّورِ ، فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ نُفِخ فِيهِ أُخْرَى ، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ (١) .

وجاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال :

يا رسول الله ما الصور ؟

قال : « قرن ينفخ فيه » (٢) .

وذكر رسول الله ﷺ يوماً الدجال ، ثم ذكر الساعة فقال :

« ثُمَّ يَنْفُخ فِي الصُّورِ ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ ، إِلَّا أَصْفَى لَيْتاً وَرَفَعَ لَيْتاً . - أي : اضطرب ومات فاسترخى رأسه ، والليت : - صفحة العنق - .

وأول من يسمعه رجل يلوط - أي : يطين - حوض إبله ،

(١) ٦٨ - الزمر .

(٢) الترمذي وأبو داود .

فَيُصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ ، ثُمَّ يَنْزِلُ اللَّهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُ ،
فَتَنْبَتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ ، ثُمَّ يَنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى ، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ
يَنْظُرُونَ .

ثم يقال : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ ، وَقِفُوا هُمْ إِنَّهُمْ
مَسْئُولُونَ .

ثم يقال : أَخْرِجُوا بَعَثِ النَّارَ .

فيقال : مِنْ كَمْ ؟

فيقال : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِئَةٌ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ .

قال : فَذَاكَ يَوْمٌ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ، وَذَلِكَ يَوْمٌ يُكْشَفُ
عَنْ سَاقٍ « (١) .

الْبَعْثُ وَالْحَشْرُ

قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا : فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا
عَمَلُوا ، أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٢) .

(١) مسلم .

(٢) ٦ - المجادلة .

وقال عز وجل مندداً على الكافر الذي ينكر البعث بقوله :

﴿ من يحيي العظام وهي رميم ؟! ﴾

قل : يحييها الذي أنشأها أول مرة ، وهو بكل خلق عليم ﴿ (١) .

وقال سبحانه : ﴿ ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم ، لا يبعث الله من يموت ، بلى وعداً عليه حقاً ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (٣) .

وقال عز وجل : ﴿ يوم يخرجون من الأجداث ﴾ (٤) سِرَاعاً كأنهم إلى نُصْب يوفضون (٥) خاشعةً أبصارهم ترهقهم ذلة ،

(١) ٧٨ و ٧٩ - يس .

(٢) ٢٨ - لقمان .

(٣) ٣٨ - النحل .

(٤) أي : من القبور .

(٥) يسرعون إلى عَلم .

ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون ﴿ (١) .

وفي الحديث الشريف : « يُبعث كل عبد على ما مات عليه » (٢) .

وقام رسول الله ﷺ خطيباً بموعظة ، فقال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةَ عَرَاءَ غُرْلًا - جمع أغرل ، وهو الأقف ، والغرلة : القلفة -

كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعدأ علينا إنا كنا فاعلين .

ألا وإن أول الخلائق يُكسى يوم القيامة إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي ، فيؤخذ بهم ذات الشمال .

أي: يؤمر بهم إلى النار .

(١) ٤٣ و ٤٤ - المعارج .

(٢) مسلم .

فأقول : يارب أصحابي !

فيقال : إنك لاتدري ما أحدثوا بعدك ؟

فأقول كما قال العبد الصالح - عيسى عليه السلام :
﴿ وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنتَ
أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شيء شهيد .

إن تعذبهم فإنهم عبادك ، وإن تغفر لهم ، فإنك أنت
العزیز الحكيم ﴾ ^(١) .

قال ، فيقال لي : إنهم لم يزلوا مرتدين على أعقابهم منذ
فارقتهم « ^(٢) .

الحشر على أرض جديدة

قال الله تعالى : ﴿ يوم تُبدل الأرض غير الأرض
والسموات ، وبرزوا لله الواحد القهار ﴾ ^(٣) .

(١) ١١٧ - ١١٨ المائدة .

(٢) البخاري ومسلم .

(٣) ٤٨ - إبراهيم .

وفي الحديث الشريف : « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بِيضَاءٍ عَفْرَاءٍ كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ » .

قال الرواي : ليس فيها مَعْلَمٌ - أي : علامة سكتى - لأحد « (١) » .

كلام الله تعالى يوم القيامة

قال الله عز وجل : ﴿ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ ، لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ » .

لمن الملك اليوم ؟

الله الواحد القهار .

اليوم تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ، إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿ (٢) » .

وفي الحديث الشريف : « يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ :

(٢) البخاري ومسلم .

(٢) ١٦ و ١٧ - غافر .

أنا الملك ، أين ملوك الأرض ؟» (١)

من أهوال القيامة

قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم ، إن زلزلة الساعة شيء عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى ، وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾ (٢) .

﴿ يوم تجد كل نفس ماعملت من خير مُحضراً ، وماعملت من سوء تودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ، ويحذركم الله نفسه ، والله رءوف بالعباد ﴾ (٣) .

﴿ يوم تبيضّ وجوه ، وتسودّ وجوه ، فأما الذين اسودّت وجوههم : أكفرتم بعد إيمانكم ؟ فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون .

(١) البخاري ومسلم .

(٢) ١ و ٢ - الحج .

(٣) ٣٠ - آل عمران .

وأما الذين ابيضَّت وجوههم ، ففي رحمة الله ، هم فيها خالدون ﴿^(١) .

﴿ يومَ يجمع الله الرسل ، فيقول : ماذا أجبتُم ؟

قالوا : لا علم لنا ، إنك أنت علام الغيوب ﴾ ^(٢) .

﴿ ذلك يومَ مجموعٌ له الناس ، وذلك يومَ مشهود . وما تؤخِّره إلا لأجلٍ معدود .

يومَ يأتِ لا تكلِّمُ نفسٌ إلا بإذنه ، فمنهم شقي وسعيد ﴾ ^(٣) .

﴿ إنما يؤخرهم ليومٍ تشخص فيه الأبصار ، مهطمين ^(٤) مقنعي رؤوسهم ^(٥) لا يرتدّ إليهم طرفهم ، وأفئدتهم هواء ﴾ ^(٦) .

(١) ١٠٦ و ١٠٧ - آل عمران .

(٢) ١٠٩ - المائدة .

(٣) ١٠٢ - ١٠٥ - هود .

(٤) أي : مسرعين .

(٥) أي : رافعي رؤوسهم إلى فوق من الفزع .

﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُل نَفْسٌ تَجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ، وَتُوَفَّى كُل نَفْسٌ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ^(١) .

﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنْاسٍ بِإِمَامِهِمْ ^(٢) فَمَنْ أَوْفَى كِتَابِهِ بِيَمِينِهِ ، فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ ، وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا .

وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى ^(٣) فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ ^(٤) .

﴿ وَيَوْمَ نَسِيرُ الْجِبَالُ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ، وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا .

وَعَرَّضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًا ، لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، بَلْ زَعَمْتُمْ أَنَّ لَنَا نَجْعَلُ لَكُمْ مَوْعِدًا .

وَوَضَعَ الْكِتَابَ ، فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مَشْفُقِينَ مِمَّا فِيهِ ، وَيَقُولُونَ :

(١) - النحل .

(٢) أي : بنبيهم أو بكتابتهم الذي أنزل عليهم .

(٣) أي : أعى القلب والبصيرة .

(٤) ٧١ و ٧٢ - الإسراء .

ياويلتنا ماهذا الكتاب ، لايفادر صغيرة ولا كبيرة إلا
أحصاها ؟

ووجدوا ماعملوا حاضراً ، ولا يظلم ربك أحداً ﴿^(١)﴾ .

﴿ يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زُرْقاً .
يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشراً .

نحن أعلم بما يقولون ، إذ يقول أمثلهم طريقة : إن لبثتم
إلا يوماً ﴾ ^(٢) .

﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا
يعملون ﴾ ^(٣) .

﴿ اليوم نختم على أفواههم ، وتكلمنا أيديهم ، وتشهد
أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾ ^(٤) .

﴿ ويوم يَعْصُ الظالم على يديه يقول : ياليتني اتخذت

(١) ٤٧ و ٤٩ - الكهف .

(٢) ١٠٢ - ١٠٤ - طه .

(٣) ٢٤ - النور .

(٤) ٦٥ - يس .

مع الرسول سبيلاً .

يا ويلتا ، ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً .

لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني ، وكان الشيطان
للإنسان خذولاً ﴿ ^(١) .

﴿ يوم تُقَلَّبُ وجوههم في النار ، يقولون : ياليتنا
أطعنا الله وأطعنا الرسولا .

وقالوا : ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا
السبيلا .

ربنا آتتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً ﴿ ^(٢) .

﴿ أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة ، وقيل
للمظالمين : ذوقوا ما كنتم تكسبون ﴿ ^(٣) .

﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم

(١) ٢٧ - ٢٩ - الفرقان .

(٢) ٦٦ - ٦٨ - الأحزاب .

(٣) ٢٤ - الزمر .

مسوذة ، أليس في جهنم مثوى للمتكبرين ﴿ (١) .

﴿ وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ،
ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴿ (٢) .

﴿ ويأقوم إني أخاف عليكم يوم التناد ، يوم تولّون
مدبرين ، مالكم من الله من عاصم .. ﴿ (٣) .

﴿ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ، ولهم اللعنة ، ولهم
سوء الدار ﴿ (٤) .

﴿ ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون .

حتى إذا ماجأوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم
بما كانوا يعملون .

وقالوا لجلودهم : لم شهدتم علينا ؟!

قالوا : أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء ، وهو خلقكم أول

(١) ٦٠ - الزمر .

(٢) ١٨ - غافر .

(٣) ٢٢ و ٢٣ - غافر .

(٤) ٥٢ - غافر .

مرة وإليه تُرجعون .

وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ، ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون .

وذلك ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم ، فأصبحتُم من الخاسرين ﴿^(١)﴾ .

﴿ يوم نبطش البطشة الكبرى ، إنا منتقمون ﴾ ^(٢) .

﴿ إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين .

يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ، وهم لا ينصرون ، إلا من رحم الله ، إنه هو العزيز الرحيم ﴾ ^(٣) .

﴿ ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون .

وترى كل أمة جاثية ، كل أمة تدعى إلى كتابها ، اليوم تجزون بما كنتم تعملون ﴾ ^(٤) .

(١) ١٩ - ٢٣ فصلت .

(٢) ١٦ - الدخان .

(٣) ٤٠ - ٤٢ الدخان .

(٤) ٢٧ و ٢٨ - الجاثية .

﴿ وقيل : اليوم ننسأكم كم نسيتم لقاء يومكم هذا ،
ومأواكم النار ومآلكم من ناصرين ﴾ ^(١) .

﴿ ويوم يُعْرَضُ الذين كفروا على النار : أذهبتم طيباتكم
في حياتكم الدنيا ، واستمتعتم بها ، فاليوم تُجزون عذاب
المؤن بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق ، وبما كنتم
تفسقون ﴾ ^(٢) .

﴿ ويوم يُعرض الذين كفروا على النار : أليس هذا
بالحق ؟

قالو : بلى وربنا .

قال : فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ ^(٣) .

﴿ ونُفخ في الصور ، ذلك يوم الوعيد .

وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد .

(١) ٣٤ - الجاثية .

(٢) ٢٠ - الأحقاف .

(٣) ٣٤ - الأحقاف .

لقد كنتَ في غفلة من هذا ، فكشفنا عنك غطاءك ،
فبصرك اليوم حديد ﴿ (١) .

﴿ يوم نقول لجهنم : هل امتلأت ، وتقول : هل من
مزيد ﴾ (٢) .

﴿ واستمعْ يوم ينادِ المنادِ من مكان قريب .

يوم يسمعون الصيحة بالحق ، ذلك يوم الخروج ﴾ (٣) .

﴿ يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً ، ذلك حشرٌ علينا
يسير ﴾ (٤) .

﴿ يوم تمور السماء مَوْرَأً (٥) وتسير الجبال سيراً . فويل
ليومئذٍ للكذابين ، الذين هم في خوض يلعبون .

يوم يُدْعَوْنَ (٦) إلى نار جهنم دعاً .

(١) ٢٠ - ٢٢ ق .

(٢) ٣٠ - ق .

(٣) ٤١ - ٤٢ ق .

(٤) ٤٤ - ق .

(٥) أي : تدور بما فيها .

(٦) أي : يُدفعون .

هذه النار التي كنتم بها تكذبون .

أفسحَرْ هذا ، أم أنتم لا تبصرون ؟

اصلوها فاصبروا ، أو لاتصبروا ، سواء عليكم ، إنما
تُجَزَوْنَ ما كنتم تعملون ﴿^(١) .

﴿ يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً ، ولا هم
يُنصرون ﴾ ^(٢) .

﴿ يوم يدعُ الداع إلى شيء نُكِّر .

خُشِعاً أبصارهم ، يخرجون من الأجداث كأنهم جراد
منتشر .

مُهْطِعِينَ إلى الداع ، يقول الكافرون هذا يوم عَسِر ﴿^(٣) .

﴿ يوم يُسْحَبُونَ في النار على وجوههم : ذوقوا مسَّ
سقر ﴿^(٤) .

(١) ٩ - ١٦ الطور .

(٢) ٤٦ - الطور .

(٣) ٦ - ٨ القمر .

(٤) ٤٨ - القمر .

﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا :
انظرونا نقتبس من نوركم .

قيل : ارجعوا ورائكم فالتمسوا نوراً .

فَضْرَبَ بَيْنَهُم بِسُورَ لَهُ بَابٌ ، بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ ،
وظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ .

ينادونهم : ألم نكن معكم ؟

قالوا : بلى ، ولكنكم فتنتم أنفسكم ، وتربصتم واربتم ،
وغرتم الأماني حتى جاء أمر الله ، وغرّم بالله الغرور ^(١)
فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ، ولا من الذين كفروا ، مأواكم
النار ، هي مولاكم ، وبئس المصير ^(٢) .

﴿ يوم يبعثهم الله جميعاً ، فينبئهم بما عملوا ، أحصاه
الله ونسوه ، والله على كل شيء شهيد .

ألم تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، مَا يَكُونُ

(١) يعني الشيطان .

(٢) ١٢ - ١٥ - الحديد .

من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ،
ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ، ثم ينبئهم
بما عملوا يوم القيامة ، إن الله بكل شيء عليم ﴿^(١) .

﴿ يوم يبعثهم الله جميعاً ، فيحلفون له كما يحلفون لكم
ويحسبون أنهم على شيء ، ألا إنهم هو الكاذبون ﴾ ^(٢) .

﴿ يوم يجمعكم ليوم الجمع ، ذلك يوم التغابن ﴾ ^(٣) ^(٤) .

﴿ يوم يكشف عن ساق ، ويُدْعَوْنَ إِلَى السَّجْدِ فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ .

خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ، وقد كانوا يُدْعَوْنَ إِلَى
السَّجْدِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾ ^(٥) .

﴿ فليس له اليوم ههنا حميم ، ولا طعام إلا من غَسَّلِينَ ^(٦)

(١) ٦ و ٧ - المجادلة .

(٢) ١٨ - المجادلة .

(٣) أي : يوم الخسار لمن اشترى الضلالة بالهدى ، وباع آخرته بدنياه .

(٤) ٩ - التغابن .

(٥) ٤٢ و ٤٣ القلم .

(٦) أي : صديد أهل النار .

لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿١١﴾ .

﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴾ ^(٢) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ^(٣)
وَلَا يَسْأَلُ حِمِيًّا .

يُبْصِرُونَهُمْ ^(٤) يَوْمَ الْمَجْزَمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمُنْذِ
بَنِيهِ ، وَصَاحِبَتَهُ وَأَخِيهِ ، وَفَصِيلَتَهُ الَّتِي تُؤْوِيهِ ، وَمَنْ فِي
الْأَرْضِ جَمِيعاً ، ثُمَّ يُنْجِيهِ . كَلَّا.. ﴿٥﴾ .

﴿ يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ مِرَاعاً كَانَتْهُمْ إِلَى نُصْبِ
يُوفُضُونَ ^(٦) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ^(٧) .

ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٨﴾ .

(١) ٣٦ - ٣٨ الحاقة .

(٢) أي: عكر الزيت .

(٣) أي: الصوف المصبوغ .

(٤) أي: يرى بعضهم بعضاً .

(٥) ٨ - ١٥ المعارج .

(٦) أي: يُسرعون .

(٧) أي: يغشاهم هوان .

(٨) ٤٣ و ٤٤ المعارج .

﴿ يوم تُرجف الأرض والجبال ، وكانت الجبال كثيباً مهيباً ﴾ (١) .

﴿ فذلك يومئذ يوم عسير ، على الكافرين غير يسير ﴾ (٢) .

﴿ وإذا الرسل أقتت ، لأي يوم أجلت ؟

ليوم الفصل ، وما أدراك ما يوم الفصل ؟

ويل يومئذ للمكذبين ﴾ (٣) .

﴿ هذا يوم لا ينطقون ، ولا يؤذن لهم فيعتذرون .

ويل يومئذ للمكذبين ﴾ (٤) .

﴿ إن يوم الفصل كان ميقاتاً ، يوم ينفخ في الصور ،

فتأتون أفواجاً ، وفتحت السماء فكانت أبواباً ، وسيروا

(٥) ١٤ - الزمل .

(٦) ٩ و ١٠ - المدثر .

(٧) ١١ - ١٥ - المرسلات .

(٨) ٣٥ - ٣٧ - المرسلات .

الجبال فكانت مراباً ﴿^(١)﴾ .

﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفاً .

لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً .

ذلك اليوم الحق ، فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً .

إنا أنذرناكم عذاباً قريباً .

يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ، ويقول الكافر : ياليتني

كنت تراباً ﴿^(٢)﴾ .

﴿ يوم ترجف الراجفة ^(٣) .

تتبعها الرادفة ^(٤) .

قلوبٌ يومئذ واجفة ^(٥) .

أبصارها خاشعة ﴿^(٦)﴾ .

(١) ١٧ - ٢٠ النبأ .

(٢) ٣٨ - ٤٠ النبأ .

(٣) أي: بعد النفخة الأولى في الصور .

(٤) يعني النفخة الثانية .

(٥) أي: خافقة خائفة من هول القيامة .

(٦) ٦ - ٩ النازعات .

﴿ يوم يتذكر الإنسان ما سعى ، وبُرزت الجحيم لمن يرى .

فأما من طفى ، وآثر الحياة الدنيا ، فإن الجحيم هي المأوى ﴾ ^(١) .

﴿ يوم يفرّ المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، لكل امرئ منهم يومئذ شأنٌ يغنيه .

وجوه يومئذ مُّسَفَّرَةٌ ^(٢) ضاحكة مستبشرة .

ووجوه يومئذ عليها غَبَرَةٌ ^(٣) ترهقها قترة ^(٤) .

أولئك هم الكفرة الفجرة ﴾ ^(٥) .

﴿ وما أدراك ما يوم الدين ؟ ثم ما أدراك ما يوم الدين ؟ .

(١) ٢٥ - ٣٩ - النازعات .

(٢) أي : مشرقة مضيئة .

(٣) أي : كآبة .

(٤) أي : تعلوها ظلمة .

(٥) ٢٤ - ٤٢ - عبس .

يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ، والأمر يومئذ لله ﴿^(١)﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ، وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا . إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ، فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَلَا يَفْرَنَّكُمْ بِاللَّهِ الْفُرُورُ ﴾ ^(٢) .

﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا .
السَّمَاءُ مَنْفَطَرٌ بِهِ ، كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴾ ^(٣) .

﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ ، وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ
لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا نَهْمًا .
يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ ، وَرَضِيَ لَهُ
قَوْلًا ﴾ ^(٤) .

﴿ يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ

(١) ١٧ - ١٩ الانفطار .

(٢) ٣٣ - لقمان .

(٣) ١٧ و ١٨ الزمل .

(٤) ١٠٨ و ١٠٩ طه .

الحق المبين ﴿^(١) .

﴿ فعميت عليهم الأنبياء يومئذ فهم لا
يتساءلون ﴾ ^(٢) .

﴿ فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ، ولا هم
يُستعتَبون ﴾ ^(٣) .

﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوٌ إلا المتقين ﴾ ^(٤) .

﴿ فإذا برقَ البصر ^(٥) وخسفَ القمر ، وجُمعَ الشمس
والقمر ، يقول الإنسان يومئذ : أين المفر ؟
كلا ، لا وزر ^(٦) إلى ربك يومئذ المستقر . ينبأ الإنسان
يومئذ بما قدّم وأخر ﴾ ^(٧) .

(١) ٢٥ - النور .

(٢) ٦٦ - القصص .

(٣) ٥٧ - الروم .

(٤) ٦٧ - الزخرف .

(٥) أي: زاع من الفزع .

(٦) أي: لا ملجأ .

(٧) ٧ - ١٣ القيامة .

﴿ وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة .

وجوه يومئذ باسرة ^(١) تظن أن يفعل بها فاقرة ﴿ ^(٢) .

أي: تستيقن أنه سيحلّ بها أمر شديد ، يكسر فقار الظهر .

﴿ وجوه يومئذ خاشعة ، عاملة ناصبة ، تصلى ناراً
حامية ، تُسقى من عين آنية ^(٣) ليس لهم طعام إلا من
ضريع ^(٤) لا يمين ولا يغني من جوع ﴿ ^(٥) .

﴿ وجيء يومئذ بجهنم ، يومئذ يتذكر الإنسان ، وأنى له
الذكرى .

يقول : ياليتني قدّمت لحياتي !

فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ، ولا يوثق وثاقه

(١) أي: عابسة من الخوف .

(٢) ٢٢ - ٢٥ القيامة .

(٣) أي: شديدة الحرارة .

(٤) أي: من شوك .

(٥) ٢ - ٧ الغاشية .

أحد ﴿^(١)﴾ .

وفي الحديث الشريف : « يعرق الناس يوم القيامة ، حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ، ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم » ^(٥) .

« تُدنى الشمس يوم القيامة من رؤوس الخلق ، حتى تكون منهم كمقدار ميل ، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق .
فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه - أي : خاصرتيه - ومنهم من يلجمه العرق إجماماً ، وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه . - أي : إلى فمه - » ^(٣) .

بشرى المؤمنين في القيامة

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا : رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ، تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا ، وَلَا تَحْزَنُوا ،

(١) ٢٣ - ٢٦ الفجر .

(٢) البخاري - مسلم .

(٣) مسلم .

وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون .

نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ولكم فيها ما
تشتهي أنفسكم ، ولكم فيها ما تدعون .
نُزِّلًا من غفور رحيم ﴿^(١)﴾ .

تتنزل عليهم الملائكة عند الموت ، وفي القبر ، وإذا قاموا
من قبورهم للبعث ، وفي الآخرة ..
وقال تعالى : ﴿ألا إن أولياء الله لا خوفَ عليهم ولا هم
يحزنون .

الذين آمنوا وكانوا يتقون .

لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة .. ﴿^(٢)﴾ .

﴿ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ، يسعى نورهم بين
أيديهم وبأيمانهم : بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار
خالدين فيها ، ذلك هو الفوز العظيم ﴾ ^(٣) .

﴿ يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه ، نورهم

(١) ٣٠ - ٣٢ فصلت .

(٢) ٦٢ - ٦٤ - يونس .

(٣) ١٢ - الحديد .

يسعى بين أيديهم وبأيامهم ، يقولون : ربنا أقم لنا نورنا
واغفر لنا ، إنك على كل شيء قدير ﴿^(١) .

﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها ، وهم من فزع يومئذ
آمنون ﴾^(٢) .

محاسبة الله تعالى لعباده

قال الله تعالى : ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه ، فسوف
يحاسب حساباً يسيراً ، وينقلب إلى أهله مسروراً ﴾^(٣) .

وقال عز وجل : ﴿ إن إلينا إيابهم ، ثم إن علينا
حسابهم ﴾^(٤) .

وفي الحديث الشريف : « ما منكم أحد إلا سيكلمه ربه
يوم القيامة ، ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أئمن منه ،
فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر أشأم منه ، فلا يرى إلا ما

(١) ٨ - التحريم .

(٢) ٨٩ - النبل .

(٣) ٧ - ٩ الانشقاق .

(٤) ٢٥ و ٢٦ الفاشية .

قدم ، وينظر بين يديه ، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه ،
فاتقوا النار ولو بشق تمرة » ^(١) .

وفي حديث آخر : « يدنو أحدكم من ربه ، حتى يضع
كفنه - أي : ستره - عليه ، فيقول : أعلت كذا وكذا ؟
فيقول : نعم .

ويقول : أعلت كذا وكذا ؟

فيقول : نعم .

فيقرره ثم يقول : إني سترت عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها
لك اليوم . ثم يعطى صحيفة حسناته .

أما الكفار ، فينادى على رؤوس الأشهاد :

﴿ هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، ألا لعنة الله على
الظالمين ﴾ ^(٢) .

وعن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ قال :

« ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك .

(١ و ٢) البخاري ومسلم .

فقلت : يا رسول الله : أليس قد قال الله تعالى :
﴿ فَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ، فَسَوْفَ يَحْسَبُ حِسَاباً
يَسِيراً ﴾

فقال : إنما ذلك العَرَضُ ، وليس أحد يناقش الحساب يوم
القيامة إلا عَذَّبَ « (١) .

وقال ناس : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟
قال : « هل تُضَارُونَ في رؤية الشمس في الظهرية ليست في
سحابة ؟ »

قالوا : لا .
قال : « هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في
سحابة ؟ »

قالوا : لا .
قال : « فوالذي نفسي بيده ، لا تضارون في رؤية ربكم إلا
كما تضارون في رؤية أحدهما .

قال : « فيلقى العبد فيقول :

(١) البخاري ومسلم .

أي: قُلْ - يعني يافلان - ألم أكرمك وأسودك - أي أجعلك
سيداً - وأزوجك ، وأسخر لك الخيل والإبل وأذكرك ترأس
وتربع - أي: تعلو على العباد - ؟

فيقول : بلى .

قال : فيقول : أفظننتَ - أي: اعتقدت - أنك ملاقي ؟

فيقول : لا .

فيقول : فإني أنساك كما نسيتني - أي: ويأمر به إلى
النار - .

ثم يلقى الثاني فيقول : أي قُلْ ألم أكرمك وأسودك
وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل ، وأذكرك ترأس وتربع ؟

فيقول : بلى أي رب .

فيقول : أفظننت أنك ملاقي ؟

فيقول : لا .

فيقول : فإني أنساك كما نسيتني .

- وهذا والذي قبله من الكافرين -

ثم يلقي الثالث ، فيقول له : مثل ذلك .
 فيقول : يارب آمنت بك وبكتابك ، وبرسلك ، وصليت
 وصمت وتصدقت ، ويثني بخير ما استطاع .
 فيقول : هاهنا إذن .

- أي: قف حتى تسمع من يكذبك -

قال : ثم يقال له : الآن نبعث شاهدنا عليك .
 ويتفكر في نفسه : من ذا الذي يشهد عليّ ؟!
 فيختم على فيه ، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه : انطقي .
 فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله ، وذلك ليعذر من
 نفسه .

- أي: ليزيل عذره من قبل نفسه -

وذلك المنافق ، وذلك الذي يسخط الله عليه « (١) » .

وفي الحديث الشريف : « لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل :

عن عمره فيم أفناه ؟

وعن عمله فيم فعل ؟

وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه ؟

وعن جسمه فيم أبلاه ؟ » (١) .

القصاص

القصاص هو أن يأخذ الله تعالى للمظلوم حقه من ظالمه .

وليس في الآخرة إلا الحسنات ، فتؤخذ الحقوق منها .

وفي الحديث الشريف : « من كان عنده مظلمة لأخيه ،

فليتحلله منها ، فإنه ليس ثم دينار ولا درهم ، من قبل أن

يؤخذ لأخيه من حسناته ، فإن لم يكن له حسنات ، أخذ من

سيئات أخيه فطُرحت عليه » (٢) .

وفي حديث آخر : « يخلص المؤمنون من النار ، فيُسحبون

(١) الترمذي .

(٢) البخاري ومسلم وغيرهما .

على قنطرة بين الجنة والنار ، فيَقْتَصِّرَ لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتى إذا هُذِبُوا وَتَّقَوْا ، أذن لهم في دخول الجنة ، فوالذي نفس محمد بيده ، لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة ، منه بمنزله كان في الدنيا . ^(١) .

استلام صحف الأعمال

إذا انتهى الناس في الموقف من السؤال ، طارت الصحف من تحت العرش ، فجاءت كل صحيفة لصاحبها ، فالسعيد يأخذها بيمينه ، والشقي بشماله ، ومن وراء ظهره .

قال الله تعالى : ﴿ فَمَا مِنْ أَوْتِي كِتَابِهِ بِيَمِينِهِ ، فيقول : هاؤم ^(٢) اقرءوا كتابيه ، إني ظننت ^(٣) أني ملائح حسابيه .

فهو في عيشة راضية ، في جنة عالية ، قطوفها دانية ، كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية .

وأما من أوتي كتابه بشماله ، فيقول :

(١) البخاري .

(٢) أي: خذوا .

(٣) أي: أيقنت .

يالييتني لم أوتَ كتابيه ، ولم أدرِ ما حسابيه ، يالييتها
كانت القاضية ^(١) ما أغنى عني ماليه ؟ هلك عني سلطانيه .

خذوه ففعلوه ، ثم الجحيم صلّوه ، ثم في سلسلةٍ ذرعتها
سبعون ذراعاً فاسلكوه ، إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ﴿ ^(٢) .

وفي الحديث الشريف : « يُعرض الناس يوم القيامة ثلاث
عرضات :

فأما عرضتان فجدال ومعاذير ، فعند ذلك تطير الصحف
في الأيدي ، فأخذٌ بيمينه ، وأخذ بشماله » ^(٣) .

وعرضُ الناس على الله تعالى وقوفهم بين يديه .

قال الله تعالى : ﴿ يومئذ تُعرضون لا تخفى منكم
خافية ﴾ ^(٤) .

وهذا الموقف له أحوال نظراً لما يجري فيه .

(١) أي: ياليت الموتة في الدنيا كانت القاطعة لحياقي ، فلا أبعث فأرى هذا .

(٢) ١٩ - ٣٣ الحاقة .

(٣) الترمذي .

(٤) ١٨ - الحاقة .

فالحال الأولى وقوف الخلائق وهم سكوت .

قال الله تعالى : ﴿ وخشعت الأصوات للرحمن ، فلا تسمع إلا همساً ﴾ ^(١) .

وهذه هي أشق الأحوال عليهم ، حتى يتنوا الانصراف ولو إلى النار ، فإذا التجئوا إلى الرسل ، وشفع النبي ﷺ لهم عند الله تعالى ، قبل الله شفاعته ، وشرع في محاسبة الخلائق .

وهذه حال ثانية . وهكذا من حال إلى حال ، حتى ينتهوا إلى الجنة أو النار .

الميزان

قال الله تعالى : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئاً ، وإن كان مثقال حبة من خردل ، أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين ﴾ ^(٢) .

وعن عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت النار فبكت .

(٣) ١٠٨ - طه .

(٢) ٤٧ - الأنبياء .

فقال لها رسول الله ﷺ : « ما يبكيك ؟ »

فقالت : ذكرت النار فبكيت ، فهل تذكرون أهليكم يوم
القيامة يا رسول الله ؟

فقال : « أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً : عند
الميزان ، حتى يعلم أيخف ميزانه أو يثقل ؟ وعند الكتاب - أي :
أخذ الصحف - حين يقال : ﴿ هاؤم اقرءوا كتابيه ﴾ .

حتى يعلم أين يقع كتابه ، أفي يمينه أم في شماله أم من
وراء ظهره ؟

وعند الصراط إذا وُضع بين ظَهْرِيْ جَهَنَّمَ » (١) .

وعن أنس رضي الله عنه قال :

سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة .

فقال : « أنا فاعل »

فقلت : يا رسول الله : فأين أطلبك ؟

(١) رواه أبو داود .

قال : « اطلبني أول ما تطلبني على الصراط » .

قلت : فإن لم ألقك على الصراط ؟

قال : « فاطلبي عند الميزان »

قلت : فإن لم ألقك عند الميزان ؟

قال : « فاطلبي عند الحوض ، فإنني لا أخطيء هذه

الثلث » ^(١) .

الصراط جسر على جهنم

وجاء في حديث طويل : « ثم يُضرب الصراط بين ظَهْرَانِيْ

جهنم ، فأكون أول من يجوز - أي : يجتاز - من الرسل بأمته ،

ولا يتكلم أحد يومئذ إلا الرسل ، وكلام الرسل يومئذ : اللهم

سَلِّمْ سَلِّمْ » ^(٢) .

وفي حديث الشفاعة :

(١) الترمذي .

(٢) البخاري ومسلم .

« ونبئكم قائم على الصراط يقول : ربّ سلّم سلّم .

وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به ، فمخدوش ناجٍ ، ومكدوس في النار » ^(١) .

وفي أحاديث الشفاعة :

« فيمر المؤمنون كطرف العين ، وكالبرق ، والريح ، والطيور ، وكأجاويد الخيل والركاب - أي : الإبل - فناجٍ مسلّم ، ومخدوش ، ومكدوس في نار جهنم » ^(٢) .

الحوض المورود

خرج رسول الله ﷺ يوماً فصلّى على أهل أحد صلاته على الميت ، ثم انصرف على المنبر فقال :

« إني قرطٌ - أي : سابق - لكم ، وأنا شهيد عليكم ، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن ، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض ، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ، ولكن

(١) مسلم .

(٢) البخاري ومسلم .

أخاف عليكم أن تنافسوا فيها « (١) .

وفي حديث آخر : « أنا فرطكم على الحوض ، من مرّ عليّ شرب ، ومن شرب لم يظماً أبداً ، ليردّن عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ، ثم يُحال بيني وبينهم ، فأقول : إنهم مني » .

فيقال : لاتدري ما أحدثوا بعدك ؟

فأقول : « سَحَقاً سَحَقاً لمن غيّر بعدي - أي : ارتدّ عن دينه » (٢) .

صفة الحوض وشرابه

في الحديث الشريف : « الحوض كما بين المدينة وصنعا » (٣) .

« حوضي مسيرة شهر ، ماءؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء ، من شرب منه فلا

(١) والبخاري ومسلم .

(٢) والبخاري ومسلم .

يظماً أبدأ » (١) .

وفي رواية : « ماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل » (٢) .

الكوثر

في الحديث الشريف : « بينا أنا أسير في الجنة - أي : ليلة المعراج - إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المحجوف

قلت : « ما هذا يا جبريل ؟ »

قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك ، فإذا طينه مسك أذفر » (٣) .

- أي : شديد الرائحة الطيبة -

وفي حديث آخر : « الكوثر نهر في الجنة ، حافتاه من ذهب ، ومجراه على الدر والياقوت ، وتربته أطيب من

(١) البخاري .

(٢) مسلم .

(٣) البخاري .

المسك ، وماؤه أحلى من العسل ، وأبيض من الثلج « ^(١) .
ولا منافاة بين هذا وما قبله ، فإن الحافة من الذهب ،
لا تمنع قباب الدر فوقها .

الشفاعة

قال الله تعالى : ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا
بإذنه ﴾ ^(٢) .

وقال عز وجل على لسان بعض الكافرين في القيامة :
﴿ فما لنا من شافعين ، ولا صديق حميم ﴾ ^(٣) .

وقال سبحانه في الملائكة : ﴿ ولا يشفعون إلا لمن
ارتضى ، وهم من خشيته مشفقون ﴾ ^(٤) - أي: خائفون.

(١) الترمذي .

(٢) ٢٥٥ - البقرة .

(٣) ١٠٠ و ١٠١ - الشعراء .

(٤) ٢٨ - الأنبياء .

شفاعة نبينا محمد ﷺ

في الحديث الشريف : « أنا سيد الناس يوم القيامة ، هل تدرون بما ذاك ؟

يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيسمعهم الداعي ، وينفذهم البصر - أي : يراهم الناظر - وتدنو الشمس ، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يتحملون .

فيقول بعض الناس لبعض : اتتوا آدم .

فيأتون آدم ، فيقولون : يا آدم : أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، أتشفع لنا إلى ربك ؟ ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟

فيقول آدم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته ، نفسي نفسي - أي : فلا أسأله إلا نجاة نفسي - ، اذهبوا

إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح .

فيأتون نوحاً فيقولون : يانوح ، أنت أول الرسل في الأرض ، سمالك الله عبداً شكوراً ، اشفع لنا عند ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟! ألا ترى ما قد بلغنا ؟!

فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت لي دعوة ، دعوت بها على قومي ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى إبراهيم .

فيأتون إبراهيم ، فيقولون : أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟! ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟

فيقول لهم إبراهيم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قد كذبت ثلاث كذبات ، فذكرها ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى .

فيأتون موسى ، فيقولون : ياموسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته وتكليمه على الناس ، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى

إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟

فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى عيسى .

فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى ، أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وكلمت الناس في المهد صبياً ، فاشفع لنا عند ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟! ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟

فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنباً نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى محمد .

فيأتوني فيقولون : يا محمد ! أنت رسول الله وخاتم الأنبياء ، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا عند ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ .

فأقول : أنا لها . فأنتلق فأتي تحت العرش ، فأقع ساجداً

لربي ، ثم يفتح الله عليّ ، ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي .

ثم يقال : يا محمد ارفع رأسك ، سل تُعْطَهُ ، واشفع تشفع .

فأرفع رأسي فأقول ، أمتي يارب ، أمتي يارب !

فيقال : يا محمد ، أدخل الجنة من أمتك من لاحتساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب .

والذي نفسي بيده ، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة ، لكما بين مكة وهَجَرَ - بلد باليمن - أو كما بين مكة وبُصْرَى - بلد بالشام - ^(١) .

يشفع النبيون والمؤمنون بإذن الله تعالى

قال الله تعالى : ﴿ يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً ﴾ ^(٢) .

(١) مسلم .

(٢) ١٠٩ - طه .

وفي الحديث الشريف : إن من أمتي من يشفع للفئام - أي الجماعة الكثيرة - ومنهم من يشفع للقبيلة ، ومنهم من يشفع للعُصبة ، ومنهم من يشفع للرجل ، حتى يدخلوا الجنة « (١) .

« يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء » (٢) .

فالشفاعة ثابتة وواقعة ، لأنها جائزة عقلاً وواجبة شرعاً بالكتاب والسنة كما سبق ، ويأجماع أهل السنة سلفاً وخلفاً ، خلافاً للخوارج وبعض المعتزلة ، لتعلقهم بمذهبهم في تخليد المذنبين في النار ، تمسكاً بقوله تعالى :

﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ (٣) .

وقوله عز وجل : ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (٤) .

(١) الترمذي .

(٢) ابن ماجه .

(٣) ٤٨ - المدثر .

(٤) ١٨ - غافر .

سعة الكرم الإلهي

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنا أنساً قالوا لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟
فقال رسول الله ﷺ : « هل تضارون في رؤية القمر ليلة
البدر ؟ »

قالوا : لا يا رسول الله .

قال : « هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها
سحاب ؟ »

قالوا : لا يا رسول الله .

قال : فإنكم ترونه كذلك ، يجمع الله الناس يوم القيامة ،
فيقول :

من كان يعبد شيئاً فليتبَّعه .

فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس .

ويتبع من كان يعبد القمر القمر .

ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت .

وهي كل ماعبد من دون الله .

وتبقى هذه الأمة فيها منافقون ، فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون ، فيقول : أنا ربكم .

فيقولون : نعوذ بالله منك ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه .

فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون ، فيقول : أنا ربكم . فيقولون : أنت ربنا .

فيتبعونه ، ويضرب الصراط بين ظَهْرِيْ جهنم ، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز - أي يجتاز - ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم .

وفي جهنم كلاليب ، مثل شوك السعدان ، هل رأيتم شوك السعدان ؟

قالوا : نعم ، يارسول الله .

قال : فإنها مثل شوك السعدان . غير أنه لا يعلم قدر

عظمها إلا الله ، تخطف الناس بأعمالهم ، فمنهم الموبق - أي المهلك - بعمله ، ومنهم المجازى - أي من يجازى بصعوبة المرور - حتى ينجى ، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد ، وأراد أن يُخرج برحمته من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يُخرجوا من النار من لا يشرك بالله شيئاً ، ممن أراد الله تعالى أن يرحمه ممن يقول : لا إله إلا الله .

فيعرفونهم في النار بأثر السجود ، تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود . حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود .

فيخرجون من النار وقد امتحشوا - أي احترقوا وصاروا كالفحم - فيصب عليهم ماء الحياة ، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل .

ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار ، وهو آخر أهل الجنة دخولا الجنة .

فيقول : أي رب ، اصرف وجهي عن النار ، فإنه قد قشني ريحها ، وأحرقني ذكاؤها - أي لهبها - فيدعو الله ما شاء أن يدعوه .

ثم يقول الله تبارك وتعالى ، هل عسيْتَ إن فعلتُ ذلك بك ، أن تسأل غيره ؟

فيقول : لأسألك غيره .

ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله .

فيصرف وجهه عن النار ، فإذا أقبل على الجنة ورآها ، سكت ما شاء الله أن يسكت .

ثم يقول : أي رب قدمني إلى باب الجنة .

فيقول الله له : أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك ، لاتسألني غير الذي أعطيتك ؟ ويلك يا بن آدم ما أغدرك !

فيقول : أي رب .. يدعو الله حتى يقول له :

فهل عسيْتَ إن أعطيتك ذلك أن تسأل غيره ؟

فيقول : لا وعزتك .

فيعطي ربه ما شاء من عهود ومواثيق ، فيقدمه إلى باب الجنة ، فإذا قام على باب الجنة ، انفهقت له الجنة - أي

انفتحت واتسعت ، فظهر حسنها وجمالها - فرأى ما فيها من الخير والسرور ، فيسكت ما شاء الله أن يسكت .

ثم يقول : أي رب أدخلني الجنة .

فيقول الله تبارك وتعالى له : أليس قد أعطيت عهدك ومواثيقك أن لاتسأل غير ما أعطيت ؟ ويلك يابن آدم ما أغدرك !

فيقول : أي رب ، لا أكون أشقى خلقك .

فلا يزال يدعو الله حتى يضحك ^(١) الله تبارك وتعالى منه .

فإذا ضحك الله تعالى منه قال : ادخل الجنة .

فإذا دخلها قال الله له : تَمَنَّهُ .

فيسأل ربه ويتمنى ، حتى إن الله ليذكره من كذا وكذا ، حتى إذا انقطعت منه الأماني ، قال الله تعالى : ذلك لك

(١) سبق الكلام على آيات الصفات وأحاديث الصفات في قسم الإلهيات من سلسلتنا هذه « سلسلة العقائد » فارجع إليه إن شئت .

ومثله معه .

وفي رواية : ذلك لك وعشرة أمثاله » ^(١) .

وفي حديث آخر : « يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة .

ثم يخرج من النار من قال : « لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة » ^(٢) .

من صفة الجنة وخدمها

قال الله تعالى : ﴿ يطوف عليهم ولدان مخلدون ، بأكواب وأباريق وكأس من معين ^(٣) لا يصدعون عنها ولا ينزفون ^(٤) وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون ، وحورّ عِين كأمثال اللؤلؤ المكنون ، جزاء بما كانوا يعملون ﴾ ^(٥) .

(١) البخاري ومسلم .

(٢) مسلم وغيره .

(٣) أي خمر من عين تجري .

(٤) أي لا يحصل لهم من شرها صدام ولا غيبوبة .

(٥) ١٧ - ٢٤ الواقعة .

وقال عز وجل : ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مَّخْلُودُونَ ، إِذَا رَأَيْتَهُمْ حُسْبَتَهُمْ لَوْلَئَا مَنْشُورًا . وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا .

عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق ، وحَلَّوْا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ ، وَسَقَامُ رِجَمٍ شَرَابًا طَهُورًا .
 إن هذا كان لكم جزاء ، وكان سعيكم مشكورا ﴿ ^(١) .

وفي الحديث القدسي ، قال الله عز وجل :
 « أعددت لعبادي الصالحين ، ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .. » .

ثم قرأ رسول الله ﷺ :

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(٢) .

وفي الحديث الشريف : « موضع سوطٍ في الجنة خير من

(١) ١٩ - ٢٢ الإسنان .

(٢) البخاري ومسلم .

الدنيا وما فيها « (١) .

بناء الجنة وحصباؤها وترابها

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال :

قلت : يا رسول الله ممّ خُلِقَ الخلق ؟

قال : « من الماء » .

قلنا : الجنة ما بناؤها ؟

قال : « لبننة من فضة ، ولبننة من ذهب ، وملاطها المسك الأذفر - أي الشديد الرائحة - وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وتربتها الزعفران ، من دخلها ينعم ولا يبأس ، ويخلد ولا يموت ، لا تبلى ثيابهم ، ولا يفنى شبابهم ، - أي فلا يهرمون - » (٢) .

(١) البخاري .

(٢) الترمذي .

طبقات الجنة وأبوابها ودرجاتها

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ، تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ (١) .

وقال عز وجل : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢) .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا . خَالِدِينَ فِيهَا ، لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ (٣) .

وفي الحديث الشريف : « في الجنة ثمانية أبواب ، فيها باب يسمى : الرِّيان ، لا يدخله إلا الصَّائمون » (٤) .

وفي حديث آخر : « باب أمتي الذي يدخلون منه الجنة ،

(١) - ٩ - يونس .

(٢) - ٢٥ - يونس .

(٣) - ١٠٧ ، ١٠٨ - الكهف .

(٤) البخاري ومسلم .

عرضه مسيرة الراكب الجوّد ثلاثاً ، ثم إنهم ليضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول » (١) .

وفي حديث آخر : « في الجنة مئة درجة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، والفردوس أعلاها درجة ، ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ، ومن فوقها يكون العرش فإذا سألم الله فسלוه الفردوس » (٢) .

أنهار الجنة وعيونها

قال الله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ ، تجري من تحتها الأنهار ، أكلها دائم وظلها ، تلك عقبى الذين اتقوا ، وعقبى الكافرين النار ﴾ (٣) .

وقال سبحانه : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ ، فيها أنهار من ماء غير آسن (٤) وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ،

(١) الترمذي .

(٢) البخاري والترمذي .

(٣) ٣٥ - الرعد .

(٤) أي غير متغير .

وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ﴿ (١) .

وسئل رسول الله ﷺ عن الكوثر فقال :

« ذاك نهر أعطانيه الله عز وجل في الجنة ، أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، فيه طير أعناقها كأعناق الجزر » (٢) - أي الجمال - .

أشجار الجنة وفواكهها

قال الله تعالى : ﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا : هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً ، ولهم فيها أزواج مطهرة ، وهم فيها خالدون ﴾ (٣) .

فثمار الجنة يشبه بعضها بعضاً في المنظر ، ويختلف في

(١) ١٥ - محمد .

(٢) الترمذي .

(٣) ٢٥ - البقرة .

الطعم . وثمار الدنيا وفواكهها اللذيذة لا يشبه بعضها بعضاً في طعم ولا لون ، ولا يعرف أحد طعمها إلا إذا ذاقها فكيف بفواكه الآخرة وثمارها ؟!

وقال تعالى : ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ ﴾

ذواتا أفنان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟
 فيها عينان تجريان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟
 فيها من كل فاكهة زوجان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟
 متكئين على فرش بطائنها من إستبرق ، وجنى الجنتين دان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴿ ^(١) .

وقال عز وجل : ﴿ وأصحاب اليمين ، ما أصحاب اليمين ؟
 في سِدْرٍ مَخْضُودٍ ، وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ، وظل ممدود ، وماء مسكوب ، وفاكهة كثيرة ، لا مقطوعة ولا ممنوعة ﴾ ^(٢) .
 وفي الحديث الشريف : « إن في الجنة لشجرة ، يسير

(١) ٤٦ - ٥٥ الرحمن .

(٢) ٢٧ - ٣٣ الواقعة .

الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها » (١) .

غرف أهل الجنة

قال الله تعالى : ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَةٌ ، تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴾ (٢) .

وفي الحديث الشريف : « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم ، كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب ، لتفاضل ما بينهم .

قالوا : يا رسول الله ، تلك منازل الأنبياء ، لا يبلغها غيرهم ؟

قال : « بلى والذي نفسي بيده ، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » (٣) .

(١) البخاري ومسلم .

(٢) ٢٠ - الزمر .

(٣) البخاري ومسلم .

خيام الجنة

قال الله تعالى : ﴿ حور مقصورات في الخيام ، فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ (١) .

وفي الحديث الشريف : « في الجنة خيمة مجوفة ، عرضها ستون ميلاً ، في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخريين ، يطوف عليهم المؤمن » (٢) .

أسواق الجنة

في الحديث الشريف : « إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة ، فتهبّ ريح الشمال ، فتحثو في وجوههم وثيابهم - أي تنثر عليهم أنواع العطر - فيزدادون حسناً وجمالاً ، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً فيقول لهم أهلهم : والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً . فيقولون : وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً » (٣) .

(١) ٧٢ - ٧٣ الرحمن .

(٢) البخاري ومسلم .

(٣) مسلم .

الزعر في الجنة لمن شاء

كان النبي ﷺ يوماً يتحدث - وعنده رجل من أهل البادية - : « أن رجلاً من أهل الجنة يستأذن ربه في الزرع .

فقال الله له : أولست فيما شئت ؟ - أي متمعاً بما تشتهي -

قال : بلى ، ولكن أحب أن أزرع .

فأسرع وبذر ، فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال .

فيقول الله تعالى : دونك يابن آدم ، فإنه لا يشبعك شيء .

فقال الأعرابي : يارسول الله ، لا تجد هذا إلا قرشياً أو أنصارياً ، فإنهم أصحاب زرع ، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع .

فضحك النبي ﷺ « (١) .

(١) البخاري .

من أوصاف أهل الجنة

قال الله تعالى : ﴿ إن المتقين في جنات وعيون ،
ادخلوها بسلام آمنين ، ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ ،
إخواناً على سُرُرٍ متقابلين ، لا يسّهم فيها نصيب ^(١) وما هم
منها بمخرجين ﴾ ^(٢) .

﴿ إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون ، هم
وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون ، لهم فيها فاكهة
ولهم ما يَدْعُونَ ^(٣) سلام قولاً من رب رحيم ﴾ ^(٤) .

وفي الحديث الشريف : « أهل الجنة جُرد مرّة كُحل ،
لا يفنى شبابهم ، ولا تبلى ثيابهم » ^(٥) .

« إن أول زمرة يدخلون الجنة ، على صورة القمر ليلة

(١) أي التعب .

(٢) ٤٥ - ٤٨ الحجر .

(٣) أي ما يطلبون .

(٤) ٥٥ - ٥٨ يس .

(٥) الترمذي .

البدر ، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة ،
لايبولون ، ولايتغوطون ، ولايتخطون ، ولايتفلون ،
أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ، ومجامرهم الآلوة - أي
مباخرهم شبه العود الهندى - وأزواجهم الحور العين ، أخلاقهم
خلق رجل واحد - أي لا اختلاف بينهم - يسبحون بكرة
وعشياً ^(١) .

من صفات نساء أهل الجنة

قال الله تعالى : ﴿ فيهن قاصرات الطرف ^(٢) لم
يطمثن ^(٣) إنس قبلهم ولا جان ، فبأي آلاء ربكما
تكذبان ؟

كأنهن الياقوت والمرجان ، فبأي آلاء ربكما
تكذبان ؟ ﴿ ^(٤) .

﴿ فيهن خيرات حسان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟
حور مقصورات في الخيام ، فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟

(١) البخاري ومسلم .

(٢) أي لا ينظرن إلى غير أزواجهن .

(٣) أي لم يطأهن .

(٤) ٥٦ - ٥٩ الرحمن .

متكئين على رفرِفِ خُضِر ، وَعَبْقَرِيَّ ^(١) حِسان ، فبأي
آلاء ربكما تكذبان ؟ ﴿ ^(٢) .

لَمْ يَطْمِئْهُمْ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ، فبأي آلاء ربكما
تكذبان .

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ، فَجَعَلْنَاهُنَّ
أَبْكَارًا ، عَرُبًا أَتْرَابًا ، لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ ^(٣) .

عَرُبًا : جمع عَرُوب : وهي المتحبة إلى زوجها .

وَأَتْْرَابًا : أي مقاربات في السن .

وفي الحديث الشريف : « لَقَابُ قَوْسٍ أَحَدَكُمْ أَوْ مَوْضِعُ
قَدَمِهِ مِنَ الْجَنَّةِ ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا . وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ
نِسَاءِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى الْأَرْضِ ، لِأَضَاءَتِ مَا بَيْنَهُمَا ، وَلَمَلَّتْ مَا
بَيْنَهُمَا رِيحًا ، وَلَنَصِيفُهَا - يَعْنِي الْخِمَارَ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا
فِيهَا » ^(٤) .

(١) أي طنافس .

(٢) ٧٠ - ٧٧ الرحمن .

(٣) ٣٥ - ٣٨ الواقعة .

(٤) البخاري ومسلم .

أول من يدخل الجنة

عن أنس رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال :

« أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة ، وأنا أول من يقرع باب الجنة » ^(١) .

« آتي باب الجنة يوم القيامة ، فأستفتح فيقول الخازن : من أنت ؟

فأقول : محمد .

فيقول : بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك » ^(٢) .

وفي الحديث الشريف : « سيدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً ، أو سبعمئة ألف متمسكون ، أخذ بعضهم بعضاً ، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم ، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر » ^(٣) .

(١ و ٢) مسلم .

(٣) البخاري ومسلم .

الذين يدخلون الجنة بغير حساب

في الحديث الشريف : « عُرِضَتْ عَلَى الْأُمَمِ ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ يَمْرُوعَهُ الْأُمَّةَ ، وَالنَّبِيُّ يَمْرُوعَهُ النَّفَرَ - أَيِ الْجَمَاعَةِ مِنْ ثَلَاثَةِ إِلَى عَشْرَةٍ - وَالنَّبِيُّ يَمْرُوعَهُ الْعَشْرَةَ ، وَالنَّبِيُّ يَمْرُوعَهُ الْخَمْسَةَ ، وَالنَّبِيُّ يَمْرُوعَهُ وَحْدَهُ ، فَانْظُرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ .

قلت : يا جبريل ، هؤلاء أمتي ؟

قال : لا ، ولكن انظر إلى الأفق . فنظرت فإذا سواد كثير .

قال : هؤلاء أمتك ، وهؤلاء سبعون ألفاً قدامهم ، لاحساب عليهم ولاعذاب .

قلت : ولم ؟

قال : كانوا لا يكتونون ، ولا يسترقون ، ولا يتطيرون - أي لا يتشاءمون - وعلى ربهم يتوكلون .

فقام إليه عكاشة بن محصن ، فقال : ادع الله أن يجعلني

منهم .

فقال : اللهم اجعله منهم .

ثم قام إليه رجل آخر ، فقال : ادعُ الله أن يجعلني منهم .

قال : سبقك بها علكشة ^(١) .

الامة الحمديدية أكثر أهل الجنة

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال :

كنا مع رسول الله ﷺ في قبة فحوا من أربعين رجلاً .

فقال : « أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟

قلنا : نعم .

فقال : أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟

فقلنا : نعم .

فقال : والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا نصف أهل

الجنة ، ذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة ، وما أقم في أهل الشرك ، إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود : أو

(١) البخاري .

كالشجرة السوداء في جلد الثور الأحمر « (١) .

وفي الحديث الشريف : « أهل الجنة عشرون ومئة صف : ثمانون منها من هذه الأمة ، وأربعون من سائر الأمم » (٢) .

أول طعام أهل الجنة

عن ثوبان رضي الله عنه أنه قال :

« كنت قائماً عند رسول الله ﷺ ، فجاءه خبر من أحبار اليهود - أي عالم من علمائهم - فقال : السلام عليك يا محمد . فدفعته هفظة كاد يُصرع منها .

فقال : لم تدفعني ؟ !

فقلت : ألا تقول يا رسول الله ؟

فقال اليهودي : إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله .

(١) البخاري ومسلم .

(٢) الترمذي .

فقال رسول الله ﷺ : « إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي » .

فقال اليهودي : جئت أسألك ؟

قال : أسمع بأذني .

فنكت رسول الله ﷺ بعود معه - أي في الأرض - فقال : سل .

فقال اليهودي : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟

فقال رسول الله ﷺ : هم في الظلمة دون الجسر .

قال : فمن أول الناس إجازة - أي مروراً - ؟

قال : « فقراء المهاجرين » .

قال اليهودي : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟

قال : « زيادة كيد النون - أي طرف كبد الحوت - »

قال : فما غذاؤهم على أثرها ؟

قال : « ينحر لهم ثور الجنة ، الذي كان يأكل من أطرافها »

قال : فما شراهم عليه ؟

قال : « من عين فيها تسمى : سلسبيلاً »

قال : صدقت « (١) .

الخلود في الآخرة

قال الله تعالى : ﴿ وأما الذين سَعِدُوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض ، إلا ما شاء ربك ، عطاء غير مجذوذ ﴾ (٢) - أي غير مقطوع - .

وقال عز وجل : ﴿ إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها ، أولئك هم شر البرية .
 إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية .
 جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار

(١) مسلم .

(٢) ١٠٨ - هود .

خالدين فيها أبداً ، رضي الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك لمن
خشى ربه ﴿ ١١ ﴾ .

وفي الحديث الشريف : « إذا أدخل الله أهل الجنة الجنة ،
وأهل النار النار ، أتى بالموت : فيوقف على السور ، الذي بين
الجنة والنار .

ثم يقال : يا أهل الجنة ، فيطلعون خائفين .

ثم يقال : يا أهل النار ، فيطلعون مستبشرين يرجون
الشفاعة .

فيقال لأهل الجنة وأهل النار : هل تعرفون هذا ؟

فيقولون : قد عرفناه ، وهو الموت الذي وُكِّلَ بنا .

فيُضْجَع فيُذْبَح على السور بين الجنة والنار .

ثم يقال : يا أهل الجنة خلودٌ لاموت ، ويا أهل النار
خلود لاموت .

(١١) آخر سورة البينة .

ثم قرأ : ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة ، وهم لا يؤمنون ﴾ ^(١) وأشار بيده إلى الدنيا .

وفي حديث آخر : « من يدخل الجنة ينعم لا يبأس ، ولاتبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه » ^(٢) .

النظر إلى وجه الله الكريم

قال الله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة ﴾ ^(٣) .

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال :
 كنا جلوساً عند النبي ﷺ ، فنظر إلى القمر ليلة البدر ،
 فقال :

« إنكم ستعرضون على ربكم ، فترونه كما ترون هذا القمر ،
 لاتضامون في رؤيته » ^(٤) .

(١) مسلم والترمذي .

(٢) مسلم .

(٣) ٢٢ - ٢٣ القيامة .

(٤) البخاري ومسلم .

وفي الحديث الشريف : « أن النبي ﷺ تلا هذه الآية :
﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ .

ثم قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة ، يقول الله تبارك
وتعالى : تريدون شيئاً أزيدكم ؟

فيقولون : ألم تبيضّ وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة ، وتُنَجِّنا
من النار ؟

قال : فيكشف الحجاب ، فما أوعظوا شيئاً أحب إليهم من
النظر إلى وجه ربهم عز وجل « ^(١) .

إحلال الرضوان على أهل الجنان

قال الله تعالى : ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جناتٍ
تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ومساكن طيبة في
جنات عدن ، ورضوانٍ من الله أكبر ، ذلك هو الفوز
العظيم ﴾ ^(٢) .

(١) مسلم .

(٢) ٧٢ - التوبة .

وفي الحديث الشريف : « إن الله تعالى يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة !

فيقولون : لبيك ربنا وسعديك ، والخير في يديك .

فيقول : هل رضيتم ؟

فيقولون : وما لنا لا نرضى يا رب ، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ؟

فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟

فيقولون : يا رب وأي شيء أفضل من ذلك ؟!

فيقول : أحبب إليكم رضواني ، فلا أسخط عليكم بعده أبداً « (١) .

النار وأبوابها وأوصافها

قال الله تعالى : ﴿ وإن جهنم لموعدهم أجمعين .

(١) البخاري ومسلم .

لها سبعة أبواب ، لكل باب منهم جزء مقسوم ﴿^(١)﴾ .

وقال عز وجل : ﴿ وما أدراك ما سقر ، لا تبقي ولا تذر ، لواحة للبشر ، عليها تسعة عشر ﴾ ^(٢) .

وفي الحديث الشريف : « ناركم هذه التي يوقد ابن آدم ، جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم .

قالوا : والله إن كانت لكافية يارسول الله .

قال : « فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً ، كلها مثل حرها » .

وفي حديث آخر : اشتكت النار إلى ربها فقالت :

رب أكل بعضي بعضاً .

فأذن لها بنفسين ، نفس في الشتاء ، ونفس في الصيف ، فهو أشد ما تجدون من الحر ، وأشد ما تجدون من الزمهرير » ^(٣) .

(١) ٤٣ ، ٤٤ - الحجر .

(٢) ٢٧ - ٣٠ - المدثر .

(٣) البخاري ومسلم .

« تخرج عنق من النار يوم القيامة ، لها عينان تبصران ،
وأذنان تسمعان ، ولسانٌ ينطق ، يقول :

إني وكلت بثلاثة : بكل جبار عنيد ، وبكل من دعا مع
الله إلهاً آخر ، وبالمصّورين » ^(١) .

من صفات أهل النار

قال الله تعالى : ﴿ إِن الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نَصْلِيهِمْ
نَاراً ، كَمَا نَضَجْتُ جُلُودَهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا ، لِيَذُوقُوا
العذاب ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ ^(٢) .

وفي الحديث الشريف : « ما بين منكبي الكافر في النار
مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع » ^(٣) .

(١) الترمذي : وفي هذا تحذير شديد من تصوير ذوات الأرواح . وقد جاء في
تحريم الصور والتصوير أكثر من عشرين حديثاً صحيحاً . ودرج الفقهاء رضي
الله عنهم على تحريم ذلك ، فلا ينبغي للمؤمن أن يلتفت إلى قول من قال
بجوازه من المتأخرين .

أما الصور لأجل الهويات الشخصية ، و لأجل الجوازات السفرية ، ونحو
ذلك ، فضرورة ، والضرورة تقدر بقدرها .

(٢) ٥٦ - النساء .

(٣) البخاري ومسلم .

« ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد ، وغلظ جلده مسيرة ثلاث » ^(١) .

وقال رسول الله ﷺ في قوله تعالى :

﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارَ ، وَهُمْ فِيهَا كَالْحِونِ ﴾ ^(٢) .

قال : « تشويه النار ، فتقلص شفته العليا ، حتى تبلغ وسط رأسه ، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرتة » ^(٣) .

شراب أهل النار وطعامهم

في الحديث الشريف : إن الحميم يُصَبَّ على رؤوسهم ، فينفذ حتى يخلص إلى جوفه ، فيسلت ما في جوفه ، حتى يمرق من قدميه ، وهو الصَّهر ، ثم يعاد كما كان » ^(٤) .

وقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ

(١) مسلم .

(٢) ١٠٤ - المؤمنون .

(٣) (٤ - الترمذي) .

تقافته ، ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون ﴿^(١)﴾ .

ثم قال : « لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معاشهم ، فكيف بمن يكون طعامه ؟! » ^(٢) .

أهون أهل النار عذاباً

في الحديث الشريف : « إن أهون أهل النار عذاباً ، يوم القيامة لرجلٍ توضع في أخمص قدميه جمرتان ، يغلي منهما دماغه » ^(٣) .

كلمة التوحيد تقي من النار

في الحديث الشريف : « من كان آخر كلامه (لا إله إلا الله) دخل الجنة » ^(٤) .

(١) ١٠٢ - آل عمران .

(٢) الترمذي .

(٣) البخاري ومسلم .

(٤) أحمد وأبو داود .

دعاء :

اللهم اختم بالخيرات آجالنا ، وحقق بفضلك آمالنا ، وسهل
لبلوغ رضاك سبلنا ، وحسن في جميع الأحوال أعمالنا ، يارب
العالمين .

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل .
ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل .
وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

والحمد لله رب العالمين

القضاء والقدر

القضاء والقدر

ما هو القضاء ؟

القضاء : الحكم والخلق والبيان ...

وكل معانيه ترجع إلى انقطاع الشيء وتماه والفراغ منه .

قال الله تعالى : ﴿ بديع السموات والأرض ، وإذا قضى أمراً ^(١) فإنما يقوله له : كن فيكون ﴾ ^(٢) .

وقال عز وجل : ﴿ فقضاهن سبع سموات ﴾ ^(٣) أي خلقهن .

فإيجاد الكائنات ، وتسييرها من حيث ما قدر لها : قضاء .

وشروق الشمس وغروبها على هذا النظام المقدر لها : قضاء .

(١) أي قدره وأراد خلقه .

(٢) ١١٧ - البقرة .

(٣) ١٢ - فصلت .

ونزول المطر من السحاب : قضاء .

ونموّ النبات والشجر على حسب سنة الوجود : قضاء .

وتفتح الأزهار وذبولها وسقوطها : قضاء .

ومرض من يمرض ، إذا تعرّض لأسباب المرض : قضاء .

وموت من يموت ، إذا جاء أجله المسمى ، المرتبط
بالأسباب المقدّرة : قضاء .

وشفاء من يشفى إذا تعاطى أسباب الشفاء : قضاء .

ودخول المؤمنين الجنة : قضاء .

ودخول الكافرين والعاصين النار - والعياذ بالله تعالى - :
قضاء .

ما هو القدر ؟

والقدر : التقدير .

ومعناه : أن الله تعالى قدّر الأشياء في القِدم ، وعلم
سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده ، وعلى

صفات مخصوصة ، فهي تقع على حسب ما قدرها الله تعالى .

في الحديث الشريف : أن كفار قريش ، جاءوا إلى النبي ﷺ ، يخاضعون في القدر ، فنزلت هذه الآية : ﴿ إِنَّ الْمُهْرَمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ، يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ : ذُوقُوا مِنْ سَعْرِ ، إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ ^(١) . أي بتقدير سابق عليه .

وفي الحديث الشريف : « كتب الله مقادير الخلائق ، قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة » ^(٢) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال :

الشقي من شقي في بطن أمه ، والسعيد من وعظ بغيره .

فسمعه رجل ، فأتى حذيفة فأخبره بذلك ، وقال : كيف يشقى رجل بغير عمل ؟!

فقال له حذيفة : أتعجب من ذلك ؟ فإني سمعت رسول

(١) ٤٧ - ٤٩ القمر .

(٢) مسلم والترمذي .

الله ﷻ يقول :

« إذا مرّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة ، بعث الله لها مَنًا
فصوّرها ، وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها .

ثم قال : يارب ، أذكر أم أنسى ؟

فيقضي ربك ما شاء ، ويكتب الملك .

ثم يقول : يارب أجله ؟

فيقول ربك ما شاء ، ويكتب الملك .

ثم يقول : يارب رزقه ؟

فيقضي ربك ما شاء ، ويكتب الملك .

ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده ، فلا يزيد على ما أمر
ولا ينقص « (١) .

وفي الحديث الشريف : « إن الله عز وجل ، قد وكل
بالرحم ملكاً ، فيقول :

أي رب نطفة ، أي رب علقه ، أي رب مضغة .

فإذا أراد الله أن يقضي خلقاً قال الملك :

أي رب ذكر أو أنثى ؟ شقي أو سعيد ؟ فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ فيكتب كذلك في بطن أمه ^(١) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال :

حدثنا رسول الله ﷺ ، وهو الصادق المصدوق : « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقه مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك ، فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات :

يكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد .

فوالذي لا إله غيره ، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب - أي الذي كتب له في بطن أمه ، فتأتي الخاتمة على وفق السابقة - فيعمل بعمل أهل النار ، فيدخلها .

• (١) البخاري ومسلم .

وإن أحدم ليعمل بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة ، فيدخلها « (١) .

وعن طاووس رضي الله عنه أنه قال :

أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون :

كل شيء بقدر الله تعالى .

قال : وسمعت عبد الله بن عمر رضي الله عنه يقول :

قال رسول الله ﷺ : « كل شيء بقدر ، حتى العجز والكيس » (٢) - أي حتى البلاء والفتانة -

وفي حديث جبريل عليه السلام ، حين سأل النبي ﷺ عن الإيمان ، قال : « أن تؤمن بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » (٣) .

فالله تعالى فاعل مختار ، لا يقع في ملكه إلا ما يريد ،

(١) و ٢ و ٣ البخاري ومسلم .

وكل ما يقع في الكون معلوم له قبل وقوعه ، وموافق لما أراد .

فإن الله تعالى قدّر أن الحبة الصالحة ، إذا أُلقيت في التربة الطيبة ، وأُجري عليها الماء ، نبت منها نبات .

وقدّر أن نواة التمر تنبت نخلة ، ولا يمكن أن تنبت غير النخلة ، فلا يمكن أن تنبت زيتونة مثلاً .

وقدّر أنه إذا اتصل الذكر بالأنثى ، من الإنسان والحيوان ، مع سلامة الأعضاء ، وموافقة الزمن ، والاستعداد ، تكون نسل من جنسه .

وقدّر أن يولد الإنسان طفلاً ، ثم يصير صبيّاً ، فراهقاً ، فشاباً ، فكهنّاً ، فشيخاً ، فهرماً ، إذا امتد به عمر .

وقدّر أن يمنحه قدرة وإرادة ، يزاوِلَ بهما - بإذن الله - مصالحه ، ويسعى في كسب رزقه ، وجلب ما ينفعه ، ودفع ما يضره .

وقدّر أن يمنحه أنواعاً من الهدايا ، يميز بها النافع من

الضار ، والخير من الشر ، والهدى من الضلال .

وقدّر أن يرسل إليه رسلاً ، يرشدونه إلى ما فيه خيره
وصلاحه ، وربط باتباعهم وطاعتهم سعادته ، وبمعصيتهم
والمخالفة عن أمرهم شقاوته .

وقدّر أن يكلفه أنواعاً من التكليف ، كلها في إمكانه ،
فإن نهض بها أثابه ، وإن لم يفعل عاقبه .

وقدّر أن يجعله مختاراً ، فيما يأتي وما يدع ، وأن يجعل
هذا الاختيار أساساً للتكليف الشرعية ، حتى إذا ذهب
الاختيار ، ذهب التكليف .

كلٌ ميسّر لما خُلِقَ له

كان رسول الله ﷺ جالساً ذات يوم ، وفي يده عود ،
ينكت به - أي في الأرض - فرفع رأسه فقال :

« ما منكم من نفس إلا وقد عُلِمَ منزلها من الجنة والنار .

قالوا : يا رسول الله فلمَ نعمل ؟! أفلا نتكل ؟

قال : « اعملوا ، فكل ميسر لما خلق له » .

ثم قرأ : ﴿ فأما من أعطى واتقى ، وصدق بالحسنى ،
فسيكره لليسرى ^(١) وأما من أجل واستغنى ، وكذب
بالحسنى ، فسيكره لليسرى ﴾ ^(٢) - وهي النار والعياذ بالله
تعالى منها - .

وقيل : يا رسول الله ، بين لنا ديننا ، كأننا خلقنا الآن ،
فقيم العمل اليوم ؟

أفما جفت به الأقلام ، وجرت به المقادير ، أم فما
نستقبل ؟

قال : « لا ، بل فما جفت به الأقلام ، وجرت به
المقادير .

قيل : فقيم العمل !؟

قال : « كل عامل ميسر لعمله » ^(٣)

(١) وهي الجنة .

(٢) البخاري ومسلم .

(٣) مسلم والترمذي .

وفي رواية : قال عمر رضي الله عنه :

يارسول الله ، أرأيتَ مانعمل فيه ، أمر مبتدع ، أو فإما
فرغ منه ؟ .. - أي قدر من قبل -

قال : « فيما قد فرغ منه يابن الخطاب ، كل ميسر ، أما
من كان من أهل السعادة ، فإنه يعمل للسعادة ، وأما من كان
من أهل الشقاء ، فإنه يعمل للشقاء .

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه قال :

إن رجلين من مَزِينَة - اسم قبيلة - أتيا رسول الله ﷺ
فقالا :

يارسول الله ، أرأيتَ ما يعمل الناس اليوم ، ويكدحون
فيه ، أشيء قُضي عليهم ومضى ؟ أم فيما يستقبلون به ؟

فقال : لا ، بل شيء قُضي عليهم ، وتصديق ذلك في
كتاب الله عز وجل :

﴿ ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ﴾ (١) .

لا ينبغي التنازع في القدر

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال :

خرج علينا رسول الله ﷺ ، ونحن نتنازع في القدر ،
فغضب حتى احمر وجهه ، حتى كأننا فقىء في وجنتيه الرمان
- أي احمر من شدة الغضب - فقال :

« أهذا أمرتم ؟ أم بهذا أرسلت إليكم ؟ عزمتم عليكم أن
لاتنازعوا فيه » ^(١) .

وفي الحديث الشريف : « لايؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر
خيره وشره ، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن
ما أخطأه لم يكن ليصيبه » ^(٢) .

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه :
« إذا ذكر القدر فأمسكوا » ^(٣) .

(١ و ٢) الترمذي .

(٣) الطبراني .

ندفع الأقدار بالأقدار

نحن مطالبون شرعاً أن ندفع أقداراً بأقدار :

فالجوع - مثلاً - من القدر ، ونحن ندفعه بقدر الطعام .

والعطش من القدر ، ونحن ندفعه بقدر الشراب .

والمرض من القدر ، ونحن ندفعه بالدواء ، وهو من القدر أيضاً .

ولو أن امرأ استسلم لقدر الجوع أو الظمأ - مثلاً - وهو قادر على دفعه ، ثم مات ، مات عاصياً لله تعالى ، الذي نهاه عن أن يلقي بنفسه إلى التهلكة .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ ^(١) .

وقد أفصح الرسول ﷺ عن هذا كل الإفصاح ، وأوضحه كل الإيضاح ، حين قيل له :

يا رسول الله ، رأيت أدوية نتداوى بها ، ورُقَى نسترقى

بها ، وتُقى نَتَقِيها ، هل ترد من قدر الله شيئاً ؟

فقال ﷺ : « هي من قدر الله » (١) .

فانظر إلى هذا الجواب الحكيم ، الذي يحفز الهمم إلى العمل
النافع ، ويُهيب بالناس إلى اتخاذ الأسباب ، والإمعان في
الحذر .

وقال أبو عبيدة بن الجراح لعمر بن الخطاب رضي الله
عنها حين أراد الرجوع من الشام لما فيها من الطاعون ..

قال : أتفر من قدر الله يا أمير المؤمنين ؟!

قال : نعم ، أفر من قدر الله إلى قدر الله .

وقد أمرنا الله تعالى بإعداد المستطاع من العدة إرهاباً
للعدو .

والمستطاع : هو ما يدخل في قدرة الإنسان ومكنته
واختياره .

(١) أحمد وابن ماجه .

وذلك من باب دفع الأقدار بالأقدار ، وهو في وسع الإنسان ، وفي صميم إمكانه .

وقال عز وجل : ﴿ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ، وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتَعَتِكُمْ ، فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً ، وَلَا جَنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ ، وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ، إِنْ اللَّهُ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً ﴾ ^(١) .

فلولا أن اتخاذ الحذر مستطاع ، وفي الإمكان ، وفي مقدور الإنسان ، ما أمر الله العليم الحكيم به ، لأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها .

فلا تتم مصالح العباد في معاشهم إذن ، إلا بمدافعة الأقدار بعضها ببعض .

ومدافعة الأقدار على نوعين :

الأول : مدافعة أقدار قد انعقدت أسبابها ولم تقع ، بأقدار

تدفعها وتحول دون وقوعها :

كمدافعة عدوّ مغير بالإعداد له .

وإلى هذا يشير قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ ^(١) .

والثاني : مدافعة أقدار قد وقعت ، بأقدار تدفعها :

كمدافعة المرض بالدواء .

وإليه يشير قول الرسول ﷺ :

« تَدَاوَوْا عِبَادَ اللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً ، غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ .

قالوا : ماهو يارسول الله ؟

قال : الهرم » ^(٢) .

أما القعود عن مدافعة الأقدار ، مع القدرة عليها ، فهي

(١) ٦٠ - الأنفال .

(٢) أحد وغيره .

من العجز الأثم الذي نهينا عنه .

ففي الحديث الشريف : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل :

لو أني فعلت كان كذا وكذا .

ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل .

فإن لو تفتح عمل الشيطان » (١) .

ينهى النبي الحكيم عن العجز ، وهو القعود عن العمل مع القدرة عليه ، كسلًا وتهاونًا ، فإذا بذل الإنسان جهده ، وخرج الأمر من يده ، وأصبح في يد الأقدار التي لا يمكن دفعها ، يقول : « قدر الله ، وما شاء فعل » ويرضى حينئذ بقدر الله صابراً ، ويخضع لمشيئة الله تعالى ، ولا يستسلم للهَمَّ والحزن .

فالحرص على ما ينفع : هو مدافعة الأقدار بالأقدار .

والعجز المنهي عنه : هو الاستسلام للأقدار مع القدرة على مدافعتها .

فلا ينبغي أن يحول الإيمان بالقدر بيننا وبين اتخاذ الحيلة والحذر ، والنظر في العواقب بالحزم والحرص على الخير ، والعمل على الظفر به ، والفرار من الشر ، والعمل على النجاة منه .

وقد علم الله تعالى ضعف الإنسان أمام قوة الغرائز ، أو أثر البيئة أو الوراثة ، وعلم سبحانه أنها قد تطغى عليه ، فتورطه في ألوان من الفتون ، فاقتضت رحمته أن يحو بالتوبة النصوح أثر هذا الطغيان ، وأمر بالتوبة ، ليحو بها قدر المعصية ، التي دفع إليها قدر الغريزة أو غيرها .

فن دفع بقدر التوبة قدر المعصية - كما يدفع بقدر الطعام قدر الجوع والهلاك - فقد استمسك بالعروة الوثقى . ومن لجّ في عتوه ونفوره ، فعلى نفسه جنى ، وما ربك بظلام للعبيد .

وقدّر الله سبحانه وتعالى ، أن الجسد سبب الظفر في الدنيا . وأن عمل الصالحات سبب الفوز بالنعيم في الآخرة ،

فإن قصّرنا في العمل ، وحق بنا سوء تقصيرنا ، كنا جديرين باللوم والتثريب ، مستحقين لما أعد الله للمقصرين من الخيبة في الدنيا ، والعذاب الأليم في الآخرة .

لا ينبغي أن نحتج بالقدر إذا قصّرنا في عمل كان في وسعنا أن نعمله ، فلم نعمله ، فحق بنا ما يستوجبه التقصير ، لأننا مأمورون أن نأخذ الحذر ، وأن نحتاط للأمر ، وأن نجذب لأنفسنا الخير ، وأن ندفع الشر ما استطاعنا إلى ذلك سبيلاً .

كل امرئ يدرك إدراكاً تاماً الفرق بين ما يأتيه أو يدعه طوعاً واختياراً ، وبين ما يصيبه وليس له فيه اختيار . ومن أنكر ذلك فقد سَفِهَ نفسه ، وأنكر عقله .

وإننا لنرى الإنسان إذا أخفق في الحصول على مطلب التمهّن لتقصير منه ، عاد باللائمة على نفسه ، ثم عاود الطلب بعد إحكامه وسائله ، وإتقان ذرائعه ، واتخاذ الأسباب التي يعتقد أنها كفيلة بأن تحقق أمله ، وتظفره بحاجته .

ومن عجب أن القدر لا يخطر بباله في ذلك ، ولا يخطر بباله إلا إذا اقترب سيئة ، ليحمّل الأقدار تبعه ما جنى ،

وجريرة ما اقتترف .

ولولا أن الإنسان يشعر كل الشعور ، بأنه مختار فيما يأتي وما يدع ، ولولا أن الطاعات في وسعه وفي مكنته ، وما نزلت الشرائع ، ولا جاءت الأوامر والنواهي ، ولا أرسل الله الرسل ، ولا أنزل الكتب ، ولا أنذر ولا بشر ، ولا رغب ولا حذر ، ولا جعل جنة ونعياً ، ولا ناراً وجحيماً .

لو كان القدر سالباً لاختيار الإنسان أعماله الاختيارية ، لبطل الثواب والعقاب والتأديب والتهذيب ، والنصح والإرشاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعوة إلى الخير ، والصد عن الشر .

بيني وبين طالب

وقف طالب أمامي مرة فقال : ياسيدي الأستاذ ، تأتيني خواطر أحياناً ، فأحب أن أعرضها عليك :

لَمْ قَدَّرَ اللهُ تَعَالَى الْهُدَى وَالضَّلَالِ ، وَلَمْ يَقْدَرْ هِدَايَةَ
فقط ؟ !

ولم قدر السعادة لقوم ، والشقاوة على آخرين ، ولم تكن
سعادة فقط ؟ !

ولم كانت جنة ونار ، ولم تكن جنة فقط ؟ !

وما ذنب العبد إذا قدرت عليه ضلالة وشقاوة ؟ !

فقلت : إن لهذا البحث علاقة بالخالق والمخلوق .

فلنبداً بما يتعلق بالمخلوق ، فذلك ألصق بنفوسنا ، وأقرب
إلى حواسنا ، فنقول :

للإنسان عقل يدرك به الخير والشر ، وهذا العقل هو
مناط التكليف ، والعامل مكلف - فلا تكليف على صغير ولا
مجنون -

وللإنسان اختيار ، لا ينكره ذو عقل :

فهو يقوم باختياره ، ويقعد باختياره ، ويذهب ويحيى
كذلك ، ويتوجه إلى الطاعة إذا شاء باختيار ، ويأتي المعصية
إذا شاء باختيار ..

فليس له إذن أن يحتج بالأقدار .

وإذا أبى إلا الاحتجاج بها ، وعذر نفسه بها ، ضربناه
فألنناه ، أو سلبناه عزيزاً مما يملك مثلاً .. فيستاء .

فنقول له : إنما فعلنا ذلك بقضاء وقدر ، فاعذرنا فإننا
مغلوبون على أمرنا ، كما تقول أنت ، فلم تعذر نفسك في
معصية الله محتجاً بالأقدار ، ولا تعذر غيرك ؟!

فلا يعذرنا فتنهار حجته .

وقد نأمره بطاعة فيقول مُسَوِّفاً : حق يهديني الله !

فنقول له : إن أمر الهداية كأمر الرزق .. والله تعالى رازق
كما هو هادٍ ..

فكما تنتظر من الله الهداية من غير أن تسعى إليها .

فانتظر الرزق من غير أن تسعى إليه كذلك ، واقعد في
بيتك ، وأغلق عليك بابك ، حتى يأتيك الرزق !

فيأبى ، ويقول : لا بد من السعي في طلب الرزق .

فتنهار حجته مرة أخرى .

ونقول له أيضاً : أنت تحتج بالأقدار ، وتقول : كل شيء بقضاء وقدر .

وهذا صحيح ، فأمسك هذه الحجرة بيدك ، فإن قدر عليك أن تحرق يدك أحرقتها : وإلا فلا !

فيأبى ، فتنهار حجته مرة أخرى .

وتقول له : إن الإنسان مفطور على دفع المكاره عن نفسه :

فمن دأبته سيارة مثلاً ، مدّ يديه من غير شعور ليدفعها عن نفسه ، مع ضعف اليدين وعجزها عن دفع هذا المكروه ! والغريق يتخبط ، ويحاول في تخبطه أن ينجو من الغرق ، مع أن التخبط لا ينجيه !

فلم لا يدفع العاقل عن نفسه المكاره التي يلقاها في آخرته ، بما أوتي من قدرة واختيار ؟!

خلاصة

نخلص من هذا إلى أن السعيد يتعاطى أسباب السعادة باختياره ، وهذا من القدر .

والشقي يتراعى في أحضان الشقاء باختياره أيضاً ، وهذا من القدر .

وكل ميسّر لما خلق له - كما سبق بيانه - ولا عذر لمخلوق في شيء من الأقدار ، ولا حجة .

هذا ، وقد أجمعت الشرائع الإلهية ، والقوانين الوضعية ، والعقول البشرية ، على أن المجرم يستحق العقوبة ، وأن المسيء يستحق المؤاخظة :

فالوالد يرضى عن ولده إذا بره وأطاعه ، ويسخط إذا عقه وعصاه .

ورب العمل لا يتساوى عنده العامل الأمين المستقيم ، والعامل الخائن المتهاون في عمله :

فالعامل الجادّ المتقن المستقيم مرضيّ عنه ، ومرغوب فيه .

والعامل المهمل المتكاسل مسخوط عليه ، ومرغوب عنه ،
ومنقور منه .

والأستاذ المدرس لا يستوي عنده الطلاب جميعاً .
فاللهذب المجتهد محبوب مَقْرَب ، والشرس الكسول مبغوض
مُبْعَد .

فكيف بالخالق الباريء جل جلاله ؟!
وهو الخالق الرازق المحسن المنعم المتفضل !
كيف يجعل الحسن والمسيء ، والمؤمن والكافر ، والطائع
والعاصي سواء !!

قال الله تعالى : ﴿ إِن لِّلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ،
أَفْئِجَعُ الْمَسْلُومِينَ كَالْجُرْمِينَ ، مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ؟ ﴾ ^(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ، وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمَسِيءُ ، قَلِيلًا مَّا

تتذكرون ﴿^(١)﴾ .

هذا ما يتعلق بجانب المخلوق في موضوع القضاء والقدر .

وبقي الكلام على ما يتعلق بالخالق سبحانه .

فأقول : إن الله سبحانه وتعالى حكيم ، موصوف بالحكمة ،
والحكمة وضع الشيء في محله ، وقد قضت حكمته تبارك وتعالى
أن يكون إيماناً وكفر ، وهدىً وضلال ، وسعادة وشقاوة ،
وجنة ونار ..

وعقل الإنسان قاصر عن إدراك هذه الحكمة في الدنيا ،
وهو سيشهد لاحالة بالعدل الإلهي والحكمة الإلهية في الآخرة .
أما في الدنيا فمن أين لإنسان ضعيف خلق من تراب ، أن
يدرك حكمة رب الأرباب ؟!

قال الطالب : يَا أستاذ ، أليس قد يظنّ ظانّ ، أن هذا
الجواب ، ناشئ عن العجز عن الجواب ؟

قلت : ليس الأمر كذلك ، وسأضرب لك مثلاً ، فيه

للمسترشد مقنع إن شاء الله تعالى :

أنت طالب في المرحلة الثانوية ، وتلقى من العلوم الطبيعية والرياضية ما تتلقى ، فإذا قرر لك أستاذك نظرية رياضية ، أو معادلة كيميائية مثلاً ، وفهمتها أحسن فهم .. فهل يستطيع أستاذك أو تستطيع أنت ، أن تقررها لطفل صغير ، يفهمها منك ، أو يفهمها من أستاذك ، كما فهمتها أنت ؟

قال : لا .

قلت : ولم ؟!

قال : لأن عقله لا يتسع لمثل هذا .

قلت : وهذا الطفل الذي لا يتسع عقله اليوم ، لإدراك هذه النظرية ، أو فهم هذه المعادلة ، أليس من المحتمل أن يكون في المستقبل القريب ، حين يكون في مثل سنك ، أحسن فهماً لها منك ؟

قال : بلى ، من المحتمل ذلك .

قلت : أوليس من المحتمل أيضاً ، إذا هو تخصص في هذه العلوم ، وبلغ سنّ أستاذك ، أن يفوق الأستاذ نفسه في علومه هذه ؟

قال : بلى ، ويمكن ذلك أيضاً .

قلت : قد وصلتُ بك إلى المطلوب ، فاسمع ما أقول :

إذا كانت درجة إدراك الإنسان للعلوم ومعرفة الحقائق ، وهو في سن طفولة ، ثم في سن شباب ، ثم في سن كهولة .. تتفاوت هذا التفاوت العظيم ، فما بالك بالتفاوت بين عقل إنسان ضعيف ، وحكمة إله قوّي قدير ، عليم خبير ؟ !

قال الطالب : شكراً لك يا أستاذ ، فقد أزلت من قلبي شبهات كانت تزلزل إيماني ، ووساوس أقضتْ عليّ مضجعي ..

قلت : الحمد لله الهادي إلى الحق وإلى صراط مستقيم .

هذه المحاورة دارت بيني وبين طالب مسترشد عاقل ، فوصلت معه بعون الله تعالى إلى حقيقة ، خضع لها عقله ، وأذعن لها قلبه ، واطمأنت بها نفسه .

لكن جادلني في ذلك مرة أخرى ، طالب غيره ، سلك في جداله طريق العناد والمكابرة ، وكنت كلما وصلت به إلى مَقْنَع ، لفَّ ودار ، وعاد إلى الجبر ونفي الاختيار ، حتى كاد يُعييني أمره ، والطلاب ينتظرون نتيجة الجدل ، بعدما طال فيه المطال .

وكان الطالب قاعداً ، فقلت له : ياسيد فلان ، قم ، فقام .

ثم قلت له : اقعد ، فقعّد .

فقلت له : أَلستَ قد قمتَ باختيارك ، وقعدت باختيارك ؟

فارتبك ، ثم قال : بلى ، ولكن أنت أمرتني .

فضحكتُ وقلتُ : وكذلك فإن الله تعالى أمرك ونهاك ، وأنت مطالب بامتثال أمره ونهيه ، كما تمتثل أمري ونهي على الأقل .

فَأَفْحَمْ وَبَيَّهَتْ ، وَأَمَّنَ الطَّلَابَ بِالْحَقِّ الَّذِي ظَهَرَ ، وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

وَفِي هَذَا مَقْنَعٌ وَكَفَايَةٌ ، لِمَنْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الْهُدَايَةَ :

﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ، وَمَنْ
يُرِدْ أَنْ يَضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي
السَّمَاءِ ﴾ ^(١) .

﴿ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ ^(٢) .

﴿ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ
بِإِيمَانِهِمْ ﴾ ^(٣) .



(١) ١٢٥ - الْأَنْعَامُ .

(٢) ١١ - التَّوْبَةِ .

(٣) ٩ - يُونُسَ .

شوطان متباينان

جرت عقيدة القدر بالمسلمين شوطين متباينين أشد التباين ، متناقضين أبعد التناقض ، فلقد كانت في أول الأمر ، دافعة إلى العمل ، باعثة على الجد ، حاملة على خوض المعارك الدامية ، وركوب الأخطار الدانية .. ذلك يوم كانوا يعتقدون أن الآجال مقدره ، وأن الإنسان مخلوق للعمل بما يرضي الله تعالى ، وأن كل امرئ ميسر لما خلق له .

أجل ، لقد دفعت عقيدة القدر المسلمين الأوائل ، إلى ساحات القتال دفعاً ، وألقت بهم بين براثن الموت الزؤام إلقاءً ، وطوّحت بهم إلى أجواز الفضاء وأتباع البحار ، دفاعاً عن دينهم ، وذوداً عن حياضهم ، وسعيّاً وراء أرزاقهم ، وهم واثقون كل الثقة ، أنه لن يصيبهم إلا ما كتب الله لهم ، وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم ، وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم وأنه ما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ، فكان الإيمان بالقدر باعثاً دافعاً حافزاً مشجعاً ، لامشطاً ولا مبطئاً .

وهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وهو البطل المغوار ،
والفارس النجيد ، والقائد المظفر ، يقول :

لقد خضت كذا وكذا معركة ، وما في بدني موضع شبر ،
إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح ، وها أنذا أموت على
فراشي ، كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء !

أما الآخرون ، فقد فهموا هذه العقيدة فهماً خاطئاً مشبهاً
معوّقاً ، فقعدوا عن الجد ، وإعداد العدة ، وتمهيد الأسباب ،
واسترسلوا في المعاصي ، واستسلموا للعدو ، فخرج الأمر من
أيديهم ، وطمع فيهم من كان لا يدفع عن نفسه ، وغلبهم
المغلوبون ، فباءوا بخسران مبین ، في أمر دينهم ودنياهم .

أثر الإيمان بالقضاء والقدر

للإيمان بقضاء الله تعالى وقدره فائدة عظيمة في حياة
المؤمنين ، فقد خلق الإنسان محباً للحياة ، راغباً في متاعها ،
حريصاً على نفع نفسه ، كارهاً للآلام ، شديد الجزع إذا حلت
به .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ (١) .

فمن اعتقد أنه موكلول إلى نفسه ، وأن ما يصيبه من الخير ، لا يرجع إلا إلى حسن تقديره وجده واجتهاده ، يأخذه الغرور ، ويتملكه البطر ، وينسى شكر ربه عز وجل .

ومن حلت به مصيبة ، فرأى أنه لاسبب لها إلا خطأ تقديره ، أو سوء تدبير من حوله ، لابد أنه يبالغ في لوم نفسه ، ويحقد على من حوله ، ويشدد حزنه في مصيبته .

فخير ما يعصم الإنسان من البطر والطغيان إذا أصابه الخير ، ويصرفه عن الحزن وضعف العزيمة إذا أصابه الشر ، أن يؤمن بأن ما وقع له ، قد جرت به المقادير ، فسبق به علم الله عز وجل ، وقضت به مشيئته .

قال الله تعالى : ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ .

لكيلا تأسوا ^(١) على ما فاتكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم ،
والله لا يحب كل مختال فخور ^(٢) .

والمؤمن بقضاء الله وقدره من أبعد الناس عن رذيلة الحسد
التي توغر الصدور ، وتبعث على الشرور ، لأنه يعلم أن حسد
الناس على ما آتاهم الله من فضله ، سخط على المقدر ،
فيسلك إلى السعادة سبيلها المشروع ، فيقوم بعمله مطمئناً
مستعيناً بالله تعالى ، معتمداً عليه ، فإن وصل إلى بغيته ، حمد
الله تعالى وشكره ، على ما هيا له من أسباب النجاح ، وإن
كانت الأخرى لم يجزع ، ولم تهِنْ عزيمته ، ولم يستسلم
للأحزان ، ولم يحقد على أحد من الناس ، بل يتوجه إلى الله
عز وجل ، ويسأله اللطف به في قضائه وقدره ، والصبر على
بلائه .

والمؤمن بقضاء الله وقدره سخي لا يبخل ، وشجاع
لا يبحن ، إذ هو يعتقد أنه لا يقع له من يسر أو عسر ، وغنى أو

(١) أي تحزنوا .

(٢) ٢٢ و ٢٣ الحديد .

فقر ، وحياةٍ أو موت .. إلا ما كتبه الله له ، فيقوم بعمله في الحياة خير قيام ، لا يرهب إلا الله تعالى ، ولا يرجو إلا رحمته ورضوانه .

دعاء :

اللهم إنا نسألك إيماناً يياشر قلوبنا ، حتى نعلم أنه لا يصيبنا إلا ما كتبت لنا ، ورضنا بقضائك ، وألهمنا الشكر على نعمائك ، والصبر على بلائك .

اللهم اختر لنا في قضائك ، وبارك لنا في قدرك ، حتى لا نحب تعجيل ما أخرت ، ولا تأخير ما عجلت ، واجعل غناءنا في نفوسنا يارب العالمين .

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين

الفهرس

الموضوع	الصفحة
أقسام العقائد الإسلامية	٣
السمعات	٥
تمهيد	٧
متى الساعة ؟	١٣
من علامات الساعة	١٤
فضل العبادة في آخر الزمان	٢١
حلول البلاء بكثرة العصيان	٢١
الموت	٢٢
ثناء الناس على الميت	٢٤
ذكر الموت	٢٥
أقسام الناس في ذكر الموت	٢٨
ما الجدير بالعاقل	٣٠
مقارنة	٣٠
ينتفع الميت بعمل غيره	٣٢

٣٦	النفخ في الصور
٣٧	البعث والحشر
٤٠	الحشر على أرض جديدة
٤١	كلام الله تعالى يوم القيامة
٤٣	من أهوال القيامة
٦١	بشرى المؤمنين في القيامة
٦٣	محاسبة الله تعالى لعباده
٦٨	القصاص
٦٩	استلام صحف الأعمال
٧١	الميزان
٧٣	الصراط جسر على جهنم
٧٤	الحوض المورود
٧٥	صفة الحوض وشرابه
٧٦	الكوثر
٧٧	الشفاعة
٧٨	شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
٨١	يشفع النبيون والمؤمنون بإذن الله تعالى

- أقسام الشفاعة ٨٣
- سعة الكرم الإلهي ٨٤
- من صفة الجنة وخدمها ٨٩
- بناء الجنة وحصاؤها وتراها ٩١
- طبقات الجنة وأبوابها ودراجاتها ٩٢
- أنهار الجنة وعيونها ٩٣
- أشجار الجنة وفواكهها ٩٤
- غرف أهل الجنة ٩٦
- خيام الجنة ٩٧
- أسواق الجنة ٩٧
- الزرع في الجنة لمن شاء ٩٨
- من أوصاف أهل الجنة ٩٩
- من صفات نساء أهل الجنة ١٠٠
- أول من يدخل الجنة ١٠٢
- الذين يدخلون الجنة بغير حساب ١٠٣
- الأمة المحمدية أكثر أهل الجنة ١٠٤
- أول طعام أهل الجنة ١٠٥

- ١٠٧ الخلود في الآخرة
- ١٠٩ النظر إلى وجه الله الكريم
- ١١٠ إحلال الرضوان على أهل الجنان
- ١١١ النار وأبوابها وأوصافها
- ١١٣ من صفات أهل النار
- ١١٤ شراب أهل النار وطعامهم
- ١١٥ أهون أهل النار عذاباً
- ١١٥ كلمة التوحيد تقي من النار
- ١١٦ دعاء
- ١١٧ القضاء والقدر
- ١١٩ ماهو القضاء ؟
- ١٢٠ ما هو القدر ؟
- ١٢٦ كلٌ ميسّر لما خَلِقَ له
- ١٢٩ لا ينبغي التنازع في القدر
- ١٣٠ ندفع الأقدار بالأقدار
- ١٣٧ بيني وبين طالب
- ١٤١ خلاصة

- ١٤٨ شيطان متباينان
- ١٤٩ أثر الإيمان بالقضاء والقدر
- ١٥٢ دعاء

مطبعة المدينة

١١ ش أحمد العسقلاني

دار السلام